مجلة شهرية
Issue No: 139 عدد:
March 2019 شهر آذار
نـــــور المسيـــــح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

السجود للصليب الكريم المحيي

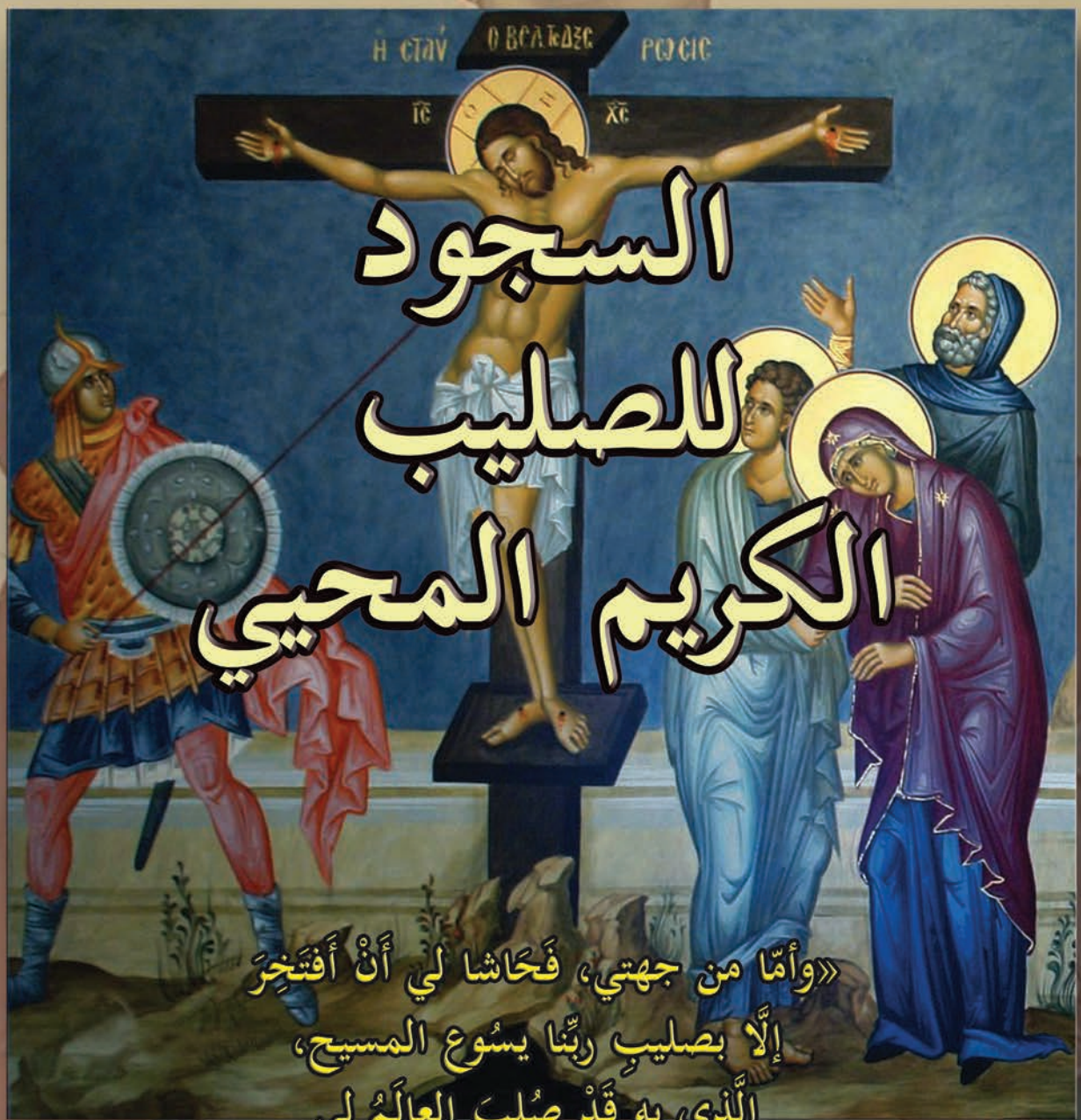

«وأمّا من جهتي، فَحَاشا لي أَنْ أفتخِرَ إلّا بصليبِ ربِّنا يسُوعَ المسيح، الَّذي بِهِ قَدْ صُلِبَ العالَمُ لي وأَنا لِلْعَالَم» (غل ٦:١٤).

محتويات العدد

الأيقونة ورؤية الله...	2
كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
حياة النسك	4
طرد آدم من الفردوس	5
لقد وجدنا الفردوس	6
-----	7
-----	8
أحد الأرثوذكسية	10
-----	11
-----	11
-----	12
الأحد الثاني من الصوم	15
الأحد الثالث من الصوم	16
القديس كيرلّس الأورشليمي	17
------	18
عظة الكِبَر والتواضع	19
الإنسان العتيق والإنسان ..	20
الإعتراف ينقذ الأرواح	21
سيرة القديس نكتاريوس	22
------	22
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة عن المعمودية	24

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

أحد الأرثوذكسية

الأيقونة ورؤية الله "وجهك يا ربّ أنا ألتمس"

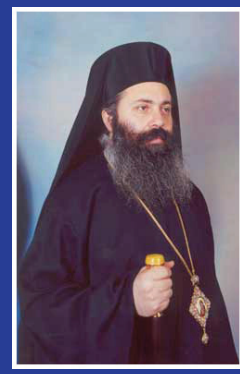

مدونة المطران بولس يازجي

يروي النصّ الإنجيليّ لقراءة اليوم لنا حوارًا بين فيليبّس ونثنائيل. موضوع هذا الحوار ومركزه هو المسيح، فيخبر فيليبّسُ نثائيلَ أنّنا « قد وجدنا المنتظَر والمكتوب عنه في كتب موسى والأنبياء»، إنّه يسوع.

ما الذي يربط هذا النصّ بعيد رفع الأيقونات اليوم، أو كما يُسَمَّى أحد الأرثوذكسيّة؟ لو أنّنا استبدلنا كلمةً في عبارة الحوار: «وجدنا يسوع»، بكلمةٍ تكرّرت في النصّ أكثر وهي (نظرنا)، لأدركنا كيف تربط الكنيسة هذا النصّ بعيد رفع الأيقونات. إنّ أكثر فعلٍ يمرّ بالنصّ هو ما يتعلّق بالرؤية والنظر، إنّه نصٌّ إنجيليٌّ يقدّس العيون. فتتكرّر عبارة: «رأى» و«نظر» و«انظر»... بمشتقاتها سبعَ مرّات.

«الله لم يرَه أحدٌ قطّ»، ولكنّ هذه الرغبة برؤية الله كانت أبدًا الشوق الإنسانيّ الملتهب طيلة العهد القديم، ولكنّها رغبةٌ لم تتحقّق. إنّ أجلى تجليات الله لرجال العهد القديم كانت مع موسى وإيليا. وعلى طلب موسى: «أرِني مجدَكَ»، أجابه الله: «أظلّلك بيدَيّ إبّان اجتيازي... أما وجهي فلا يُرى»(خر ٣٣: ١٨-٢٣). وأمّا إيليا فسمع صوتًا فقط (مل ١٩: ١٣). وهكذا راح الله يكشف ذاته للناس أكثر فأكثر بطرقٍ مختلفة، إلى أن حان ملء الزمان واستطاع إنسانٌ كفيليبس أن يقول لنثنائيل: «تعالَ وانظرْ (الله يسوع)». ولهذا طوّب المسيحُ عيونَ التلاميذ التي رأت عن قربٍ ما «اشتهى أن يراه كثيرون من الأنبياء والصديقين، ولم يروه» (مت ١٣: ١٦-١٧) ؛ وإبراهيم رأى أنّ هذا اليوم قد تحقّق ففرح وتهلّل (يو ٨: ٥٦).

كانت الوثنيّة تصنيمًا وتأليهًا لأهواء البشر، فيعبدون في الوثن أهواءهم ومثُلَهم. الوثنيّة هي عبادة إلهٍ نحن خلقناه لذا يجوز فيها كلام **سارتر** (**Sartre**)، أنّ الله أكبر خدعةٍ في حياة الإنسان.

في العهد القديم، لم يكن الله قد ظهر للعيون، كان يظهر للناس بأفعاله وبتدخّلاته وقيادته للتاريخ الخلاصي، لذا حرّمت الوصايا العشر صنع أي رسم أو منحوت لله خوفًا من الوقوع في الصنمية والوثنيّة. إله الكتاب المقدّس هو إلهٌ يكشف لنا ذاته كما هو وليس كما نظنُّه أو نريده.

لذلك بعد تجسّد المسيح، «الله الربّ ظهر لنا بالجسد»، وصار من الممكن أن نرسم للابن أيقونة، لأنّنا قد رأيناه و«وجدناه» (يو ١: ٤٥). لذا من الممكن الرسم الأرثوذكسي لا يُجَسِّد رسم الآب. أما الروح فنراه بشكل حمامة (من المعموديّة) أو ألسنة نارية (من العنصرة) فقط.

الأيقونة هي وساطة، بمعنى أنّها أداةٌ تصلنا بالله، الله الذي نُغيّبه عن أغلب ساعات يومنا، فتأتي الأيقونة لتُحضِرنا إلى حضرته وتذكّرنا بندائه: «أنا على الباب واقفٌ أقرع» (رؤ٣: ٢٠). الأيقونة هي وسيطٌ أيضًا أي في الوسط، لذلك نضعها وسط عملنا، وبيتنا، على الجدران في غرف النوم وفي غرف الجلوس، في المحفظة والكتاب... وكيفما التفتنا تكون هي في الوسط. ويصير الله شيئًا فشيئًا ومن خلالها وسط الحياة.

المسيح، هو من نسعى إليه، ومن نشتهي أن نراه. هذا هو الموقف المسيحيّ للحياة. وحين ارتفعت صورة المسيح وصور قديسيه عاليًا في المجمع السابع (٨٤٢م)، ارتفع معها هذا الهدف واضحًا. والأيقونات المرفوعة في المنازل والكنائس ما هي إلاّ إعلان عن هذا الهدف والتزامه.

على أنّ رؤية الله من خلال الأيقونة تخضع لذات الشروط التي نراه فيها من خلال النصّ الكتابي أو الإنجيل، وهي شرط نقاوة القلب. كم من أناسٍ رفعوا الأيقونات ولم يقرؤوا من ذلك شيئًا، وكم من أيقونات يصيّرها استخدامها منا مجرّد «**تابلو**» لوحات في منازلنا، لم يشتعل أمامها يومًا قنديلٌ ولا حتى قلبُ عابدٍ! الأيقونة كلمةٌ تنادي إلى عبادة، إلى محبة، إلى تفاعل!

فلأيقونتك الطاهرة لك نسجد أيّها الصالح لأنّه «لله وحده تسجدْ وإياه وحده تعبدْ» (مت ٤: ١٠) آمين.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد شفيعه القديس الشهيد ثيوفيلوس الذي مع الشهداء الأربعين. ٢٢-٣-٢٠١٨

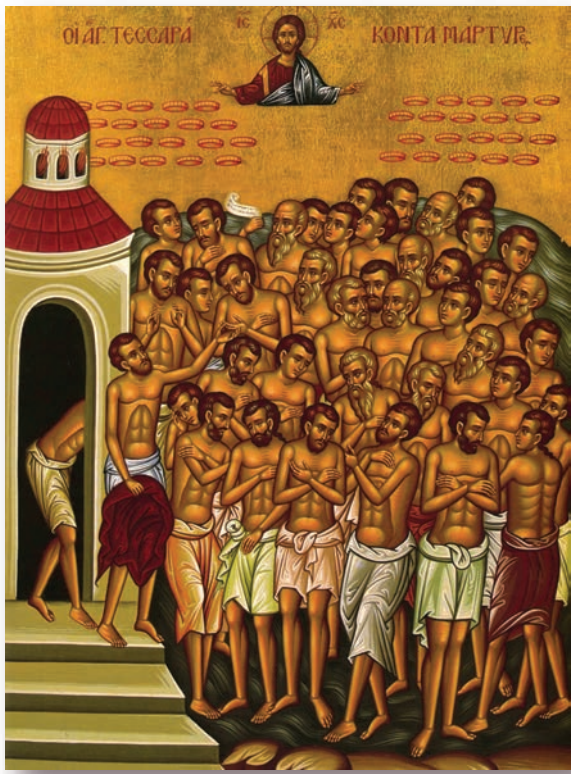

«لقد أهملتم الجندية العالمية بتاتًا. والتصقتم بالسيد الذي في السماوات. يا مجاهدي الرب المغبوطين الأربعين. فإنكم جزتم في النار والماء. فنلتم المجد ووفرة الأكاليل من السماء عن استحقاقٍ.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة

أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحترمون،

أيها الزوار المسيحيون الحسنو العبادة،

تُكرم بوقارٍ كنيستنا المقدسة ولا سيما كنيسة أُورشليم ذكرى الشهداء الأربعين وبخاصةٍ **للقديس ثيوفيلوس** المستشهد معهم الذي صرت أنا حاملًا لاسمه فذهبنا اليوم برفقة أخوية القبر المقدس الأجلاء إلى كنيسة القيامة المقدسة حيث احتفلنا بتتميم الذبيحة الإلهية غير الدموية من جهة، ومن الجهة الأخرى رفعنا الحمد والشكر والتمجيد «لِمَلِكِ الدُّهُورِ الَّذِي لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى، الإِلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَه.» (١تيموثيوس ١: ١٧)

يقول **القديس ثيوذوروس الإستوديتي**: «يا ربُّ إن البرايا بأسرها تعيد لتذكار شهدائك، فالسموات تبتهج مع الملائكة والأرض تفرح مع البشر، فبشفاعاتهم اللهمَّ ارحمنا».

لقد شاركنا في هذا الاحتفال بفرحٍ وحبورٍ **أعضاء أخوية القبر المقدس** ورعيتنا المسيحية التَّقِيَّةُ وذلك لأن عيد اسمنا الجليل لا يخص حقارتنا فقط، بل بالأخص لهذه المؤسسة البطريركية الكنسية والمنصب الروحي والتي في العالم هي جسد إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح السِّرِّي.

إن تكريمنا لذكرى شهداء المسيح ولجميع القديسين والقديس الذي أحمل اسْمَهُ هو إكرام في الواقع لإعادة ولادتنا الخلاصية بالروح القدس كما يكرز القديس بولس الرسول قائلًا: «لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا.» (تي ٣: ٥-٦)

نحن الذين تم تطعيمنا في **شجرة زيتونٍ حسنة** أي الكنيسة التي هي **جسد المسيح**، وذلك يعني أننا أصبحنا أعضاءً في الكنيسة وذلك عبرَ حميمِ إعادة الولادة أي المعمودية المقدسة. أما الشهداء بشكلٍ عام وشهداءُ بحيرة سبسطية الأربعون الذين نكُرمهم اليوم بشكلٍ خاص قد أصبحوا أعضاءً راسخين في الكنيسة التي هي جسد المسيح عبر استشهادهم بالدم لأجل محبة المسيح.

ونقول هذا لأن الكنيسة «رسول الرأي العظيم» (إش ٩: ٦) قد سبقَ وأعْلِنَ عنها في العهد القديم من الناموس المُوسَوِيِّ والآباء والأنبياء، فقد تم إعادة ولادتها وتجديدها عبر دم المخلص الكريم والماء الذي خرج من جَنْبِ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صلب وتألم من أجلنا.

إن هذه الشهادة يشهدُ بها القديس الإنجيلي يوحنا ويؤكدُ عليها

بصدقٍ موقعُ الجلجلة المقدس الذي يصدحُ ويكرز بهذه الشهادة الحقيقية الراسخة ويبشر بها على مَرِّ العصور الآباء والكهنة الذين يكهنون ويخدمون أي **أَخَوِيَّةُ القبر المقدس** مع أبيهم ورئيسهم الذي هو **خليفة القديس يعقوب أخي الرب بطريرك المدينة المقدسة أوروشليم**.

فها قد اتضح لنا لماذا نكرِمُ بإجلالٍ ووقار **القديس الشهيد ثيوفيلوس** المستشهد مع الأربعين شهيدًا، فهؤلاء القديسون المغبوطون الذين جازوا بالماء والنار قد جعلهم الرب مستحقين التعجب.

إن هؤلاء الأربعين شهيدًا والقديس ثيوفيلوس المستشهد معهم قد جعلوا الأرض سماءً وأناروا الجميع، ففيما أنتم ماثلون الآن لدى الثالوث المثلَّث الأقانيم أيها الشهداء الأربعون تشفعوا بنا إليه نحن المقيمين تذكاركم المجيد **وسيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم أم الله الفائقة على كل البركات ملجأ نفوسنا**، نتضرعُ إليها لكي بشفاعاتها يمنحنا الرحمة العظمى والسلام. وأن يؤهلنا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح السجود لقيامته الثلاثية الأيام.

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ وَسُئِل القديس باسيليوس عن «أي الخطايا يجب أن نُظهرها (نكشفها) لرئيس الدير». فأجاب القديس وقال: (تتمة)

✝ – ولا ينبغي أن يلتفت كل واحد إلى تدبيرات الرئيس، ولا يفحصها غير كبار الآباء، والقريبون من الرئيس وحدهم، لأجل رُتبتهم، وفهمهم كل الأشياء، ويناقش معهم كل الأشياء. وتُناقَش معهم أيضًا الأمور اللائقة بالمجمع كله، كقول القائل:

*«اصنعوا كل الأشياء بمشورة، ليثبُت كل واحد منا، في الدعوة التي دُعِيَ اليها (الرتّبة او الدرجة). ويهتمّ بالأمور المرسومة له، ولا يفحص كل واحد عن الأمور المنسوبة لآخرين، كما فعل تلاميذ السيد المسيح. فلم يسأله أحد عما تحدّث به للمرأة السامرية !؟ ولا عن أي شيء تطلب!؟.

✝ – إذا ما تناقش أُخوة وفحصوا أمرًا يعرفونه، ولم يتّفقوا، فعليهم ألَّا يُداوموا على العناد والخصام، بل يرفعوا الأمر للذين يستطيعون الحُكم فيه، بأدب وهدوء، حتى ينقطع التشويش والشَّك وكثرة الكلام (في الموضوع).

✝ – وعلى الرئيس ألَّا ينتهر بغضب، الذين يُخطئون، لئلا يُلقيهم في خطايا، وقد قال بولس الرسول: «عَلِّم بوداعة» (٢تي٢:٤).

✝ – وفي الوقت الذي يؤدِّب فيه، ينبغي أن يُطيل روحه (يصبر عليه) بالأكثر، لكي لا يظن أنه ينتقم لنفسه منه، ولكي يظهر أنه لم يُبغِض المُخطِيء، بل يُبغض الخطيئة (فالخاطيء مريض يحتاج لعلاج لا لعقاب).

✝ – وعندما يُخطيء إنسان يجب أن يُظهر الرئيس غيرته لله ، لأن المخالف لله مُحتقرٌ للرب، ويجب أن تكون له محبّة لخلاص نفس أخيه المُخطِيء لأنه مكتوب: «إن النفس التي تُخطى تموت».

✝ – ويجب أن يضع تأديبًا يتناسب مع كُل خطيئة، كطبيب ماهر، لأنه لا يعالج بغضب بل بشفقة، وحتى لو زاد ألمه، فزيادة ألمه خيرٌ من تركه في الخطيئة، وهلاك نفسه.

والعلاج المناسب للأمراض (الروحيّة) يكون هكذا:

✝ – مُحب المجد الباطل، يأمره الرئيس بعمل أعمال حقيرة.

✝ – وإن كان يقول كلامًا رديئًا، يأمره بالصمت.

✝ – وإن كان ينام نومًا زيادة عما يجب، ويكسل عن صلاة نصف الليل، يكلّفه بعملٍ مُتعِب،

✝ – وإن كان يغضب ويتذمَّر، يُبعَد عن الأخوة، ولا يعمل معهم، إلَّا عند توبته الصادقة، وانعتاقه من هذا الوجع (الغضب) ويعطيه عملًا آخر.

*وعلى المرضَى بالروح قبول تأديب الرئيس أو أب الاعتراف من غير أن يعادوه، كما يستخدم الطبيب علاجًا مؤلمًا لأجل الشفاء.

*ويجب كذلك أن نفكِّر في علاج المُؤْتَمَنِينَ على نفوسنا (٢كو ٢:٢ ، ١٧:٧).

✝ – ويجب أن نفكّر بالربح الناتج من العلاج، لا الألم المستخدم، حيثُ أنه موجبٌ للربح الأعظم.

✝ – والصناعات التي تعلّمها الأخوة ويغلطون فيها، أمرها مُفَوَّض الى الذين علَّموهم لكي يؤدبوهم، وكذلك يُؤَدَّب من يُخطيء الى الرئيس.

طرد آدم من الفردوس

للقديس يوحنا الذهبي الفم

إذا كان الذين يقرأُون كتب العلوم الدنيوية وقصص القبائل السالفة يبالغون في تحرير الالفاظ وتفهُّم المعاني، فالذين يقرأُون الكُتب الإلهية ويسمعون الالفاظ السيديَّة، كم يجب عليهم من الاجتهاد والاهتمام بسماعها، والمبالغة في تفهُّم معانيها والبحث عن مقاصد الكلمات الغامضة والعناية بادراك رموزها.

اسمع ما يقول الكتاب الإلهي عن **آدم وحوّاء** انّهما لمَّا أَكَلَا من الشجرة انفتحت اعينهما وعلما انهما عُريانين، فصنعا لهما مآزِر من ورق التين. ثم سمعا مشي الرب الاله في الفردوس حين مال النهار فاختبآ.

فانظروا يا هؤلاءِ الى عِظَم سعادة الطائعين وشدَّة شقاوة العُصاة. فإنَّ **أخنوخ وإيليا** المولودَيْنِ من الطبيعة المائتة لما وُجِدا مطيعَيْنِ لخالقهما سائِرَيْنِ السيرة الصالحة، أُعتِقَا من الموتِ والفساد اللذين هما من مزايا الطبيعة البشرية ورُفِعَا من الأرضِ الى السَّماء وشارَكَا الملائكة غَيْرَ المائتين.

وهذان اللذان خُلِقَا غير مائِتَيْنِ بطبيعتهما لَمَّا خالَفَا الوصيّة جَلَبَا عليهما الموت وتَعرَّيَا من حُلَلِ المجد وطُرِدَا من فردوس النعيم، وحصَلَا على شقاوةٍ عظيمةٍ. ويا للعجب من كونهما عند المخالفة ظهرت لهما نقائصهما، وتغيَّرت احوالهما حتى قصَدَا الاستتار من خالق البرايا كلّها الحاضر في كُلِّ مكانٍ، والمطَّلِع على دقائق الأفكار والعالِم بخفايا القلوب. واسمع يا هٰذا قول الربّ:

يا **آدم** أينَ أنتَ. أمَّا **آدم** فإنّه لَمَّا صار عاريًا من البهاءِ وخازيًا من مخالفة ربِّه مستترًا بأوراق الشجر خائفًا من جريرة المعصية هاربًا من القصاصِ متواريًا بأوصال الأشجار قالَ مجيبًا له: «إنّي سمعتُ مشيَكَ في الفردوسِ فخفتُ.»

فاسمع الآن يا هٰذا وتفهَّم جيدًا لتعرف قوّة مواقع الالفاظ السيِّديَّة وما حَوَتْهُ من الحكمة السامية والتنبيهات البديعة. لان قوله أينَ أنتَ ليسَ لانهُ غيرُ عالمٍ بمكانِهِ. حاشَا لهُ من ذلك. بل كأنّه يقول انني خلقتك متوشِّحًا بالجمال. لابسًا اكليل المجد. غير قابلٍ للفناءِ. وجعلتك في الفردوس مُسلَّطًا. ،خوَّلتك جميع الخيرات. فإذا انتَ كأحد الوحوش الهاربِ من الطالبين لك. مُتَّزِرٌ باوراق الشجر. عُريانٌ من ثياب البَهاءِ. خائِفٌ وَجِلٌ مرعوبٌ. فعرِّفني الآن أينَ أَنتَ، وكيفَ انتَ. وما الذي عرَضَ عليك. ومن قادَكَ الى هذا التغيير العظيم. وما الذي نقلك من الراحة الى العناءِ. ومنَ العِزِّ الى الذلّ. ومن الأَمْنِ الى الخوف. ومن التردِّي بالمجد والبهاءِ الى التردِّي باوراق الشجر. وما هذا التغيير الذي دهمك بغتةً. ولماذا ركضتَ هاربًا من خالقك. ومستَتِرًا من المُطَّلِع على جميع الخفايا. وخائِفًا من المُحسِنِ اليك. أيُّ لِصٍّ سَرَقَ كنوزك النفيسة. وايُّ غاصِبٍ سَلَبَ غناك. وايَّةُ عاصفَةٍ اغرقت سفينتك وتركتك فقيرًا خائِبًا.؟ أَجِبني الآن ما الذي أخافَكَ. وأيُّ هائِلٍ أزعَجَكَ. ولماذا اختفيتَ متواريًا.

قالَ: سمعتُ وطأتكَ ماشيًا في الفردوس فخفتُ واختفيتُ لاني عُريانٌ.

قال: ومن أَعْلَمَكَ انَّكَ عُريانٌ. ومَن اظهَرَ لكَ قُبحَ منظرك. واينَ ثيابك البهيّة.واينَ حُللك النورانية. واين اكاليل مجدك اللامعة. لعلَّكَ اكلتَ من الشجرة التي نهيتك عنها.

فاجاب حينئذٍ معتذرًا: انَّ المرأةَ التي جعلتها معي هي ناولتني منها فأكلتُ. ظانًّا انه بهذا الكلام يتمهَّد لهُ العُذرُ ويَسلَم من جريرة القصاص.

ولكن اسمع معنى جواب الربّ لهُ حيثُ قال: وايُّ عفوٍ تستحقهُ الآن وأيَّةُ عقوبةٍ لا تكون اهلًا لها وانتَ المُهمِل لاوامري والمخالف لوصاياي. فانَّ المرأة وإن كانت حسَّنت لك ان تأكل من الشجرة وهي التي ناولتك من ثمرتها، أَلَم أَكُن انا قد تقدَّمتُ بوصيَّتي لكَ ونبَّهتك قبل ذلك وتهدَّدتك بالقصاص. أَمَا كان عليك ان تتمسَّك بكلام خالقك وتترك كل سواهُ. امَا عَلمتَ انَّكَ رأسٌ لها وأنَّها عضوٌ من أعضائِكَ. فكيفَ جازَ لكَ وانتَ الحاكِم ان تصير محكومًا عليك، وتجعل المرؤوس رئيسًا وَتُصَيِّر الذَنَبَ رأسًا.؟ من يستطيع ان يندب سقتطك. وانت لا تقدر ان تبكي على نفسك كما ينبغي، لانَّكَ الآن اهنتَ ذاتك. وافسدتَ عيشتك. وحُرمتَ خيراتٍ كثيرةً.

فاذا كانت مخالفة اوامر الله تُبعدنا من رحمتهِ وتقرّبنا من الشياطين. فسبيلنا ان نهرب من الشهوات ونبادر الى العمل بمراد ربنا الذي له المجد الى الابد. آمين

لقد وجدنا الفردوس*

الأرشمندريت أميليانوس
رئيس
دير سيمونوبترا

إعداد راهبات دير مار يعقوب
الفارسي المقطع – دده، الكورة

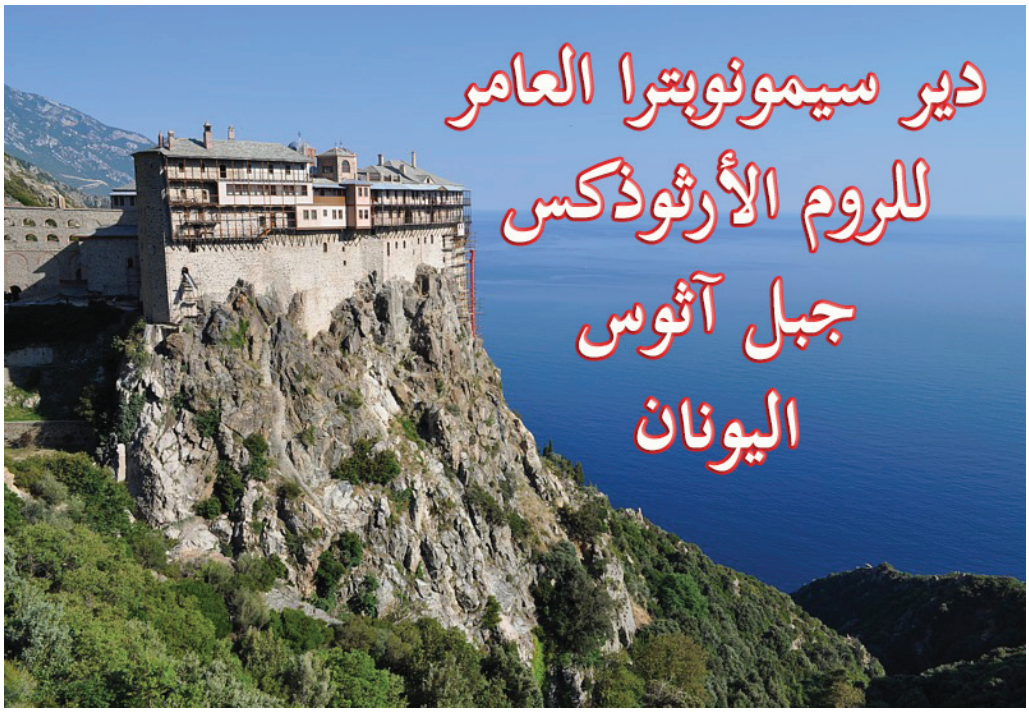

تُحدّثنا الطروباريّاتُ التي تُرتَّل في أسبوع مَرْفَع الجبن عن الفردوس الضائع، وتُلقي الضوء على تعرّي الإنسان من اللباس الذي نسجه الله له وألبسه إيّاه في الفردوس. فبعد أن طُرد آدم من الفردوس، أخذ ينوح وينتحب قائلًا: «ويحي أنا الذي بالسذاجة أمسيت عريانًا الآن وحائرًا. فيا أيّها الفردوس لن أنال في ما بعد نعيمك، ولا أعاين ربّي وإلهي وخالقي، لأنّي سأعود إلى الأرض التي منها أُخذت، فأهتف إليك أيّها الرؤوف المتحنّن: ارحمني أنا الواقع» (ذوكصا خدمة غروب أحد مرفع الجبن). إنّ المعصية التي سقط آدم فيها، والتي سبّبت له هذه الخسارة الجسيمة، صارت، هي عينها، سببًا في توطيد علاقة قويّة وصداقة حميمة مع الله على الأرض أعمق من التي كان يتمتّع بها معه في الفردوس وأمتن.

عندما نقرع الناقوس **le Talando** إيذانًا باحتفالنا بخدمة كنسيّة ما، فإنّ القندلفت يقرعه على إيقاع ثالوثيّ: «آدم! آدم! آدم! لقد وجدناه!» ليس المقصود هنا بآدم الساقط إنّما بآدم الجديد، بالحياة الجديدة التي بدأت بعد السقوط. يُعلنها في أنحاء الدير كلّه وفي الجوار، وفي الأرض كلّها حتّى إنّ صوته يشقّ عنان السماوات، ثمّ نلتقي مع آدم المخلوق الأوّل من جديد هناك في الكنيسة.

ها قد فُتحت أبواب الفردوس! وها قد تخلّى الشاروبيم والسيف اللهيبيّ عن وظيفتهم في حفظ باب عدن، كيلا يتمكّن آدم من الدخول إليه: «فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ .» (تك٣:٢٤)، وعادوا ليسبّحوا الله، ويعملوا على حفظنا وحمايتنا لكي نبقى مُستَوطِنِينَ الفردوس. والآن، ما عاد آدم يبكي ويندب، إذ عندما كسّر المسيح الأبواب النحاسيّة والأمخال الحديديّة أخذه بيده، منتشلًا معه الطبيعة البشريّة كلّها، وردّ له، من جديد اعتباره وأكّد له بأنّه سيقف به ثانية، أمام وجه الله خالقه. وهكذا أدخلنا المسيح، نحن أيضًا، إلى فردوس جديد، فردوس أسمى رفعةً من الأوّل الذي هو **الكنيسة**.

ولكي نفهم سرّ الفردوس هذا، دعونا نلجأ إلى بعض النصوص الكتابيّة، ونقارن الحقيقة التي عاشها آدم في الفردوس بامتياز مع واقعنا المعاصر: الفردوس الآن، هو الدير حيث الحياة المسيحيّة البسيطة السهلة. في هذا الموضع يمكننا أن ندرك عِظَم البركة والغبطة التي أجزلهما الربّ علينا وجعلنا مستحقّين لهما. نحن نعلم أنّ الرهبنة، بمعناها الأساس والعميق، تشكّل مجتمعًا كنسيًّا ليتورجيًّا كما كان الحال في الفردوس فالدير. إذًا هو صورة عن الفردوس من حيث المفهوم والعمل. وهكذا يمكننا أن نجيب عن التساؤلات المطروحة عن معنى وجود الراهب في الدير، قائلين بأنّ الأمور التي زرعها الروح القدس فينا تُفهم وتُدرك بالقلب، وعندها نستطيع أن نَعِيَ معانيها الشريفة السامية.

١) الفردوس: مكانه، وماذا قيل عنه في الكتاب المُقدّس؟

غرس «الربّ الإله الفردوس شرقيّ عدن»، وكلمة «الشرق» تؤكّد لنا بأنّ الفردوس كان موجودًا على الأرض. وعبارة «الرب غرس» تعطينا صورة واضحة عن محبّة الله الشخصيّة للإنسان وحنانه وغزارة عطاياه. وتوحي إلينا كلمة فردوس بوجود مكان غير محدَّد عجيب مغلَق ومحصَّن، ولا يمكن أن تقتحمه قوى الأعداء. أمّا كلمة «عدن» فتعني الأطياب التي قدّمتها الطبيعة، لأنّ ثمار الفردوس كانت طيّبة المذاق لذيذة الطعم. وأمّا هنا، يُقصَد بها الطيّبات الروحيّة الحاصلة من جرّاء حضور الله.

يصف لنا **القدّيس يوحنّا الدمشقيّ** عظمة الفردوس وجماله، فيقول: «يقع الفردوس في الشرق في الموضع الأكثر ارتفاعًا عن الأرض». لقد حدّد القدّيس وضع الفردوس بأنّه مكان مرتفع، وذلك لكي يُظهر لنا روعته وبهاءه. ويضيف: «المناخ لطيف والنسيم عليل، ويلفّ هواءٌ منيرٌ المكانَ من جهاته كلّها». يا له من أمر غريب! لقد تكلّم الدمشقيّ عن الهواء من دون أن يُشير إلى هبوبه، بل أعلن، فقط، بأنّ الفردوس كان مضاءً بالهواء الخفيف النقيّ، ولكنّ الهواء لا يُضيء! من المؤكّد بأنّ هذا الهواء كان في خدمة الإنسان ليمدّه بالنور الإلهيّ. عندما يملأ الهواءُ المكانَ يشكّل نوعًا من الغيوم تشبه السحابة المنيرة التي أضاءت على

ثابور، وغمرت التلاميذ وأنارتهم: «وإذا بسحابة منيرة ظلّلتهم» (متى ١٧ : ٥). ويتابع القدّيس يوحنّا الدمشقيّ: «إنّه مكان مملوء نورًا». لم يوضّح ماهيّة هذا الضوء، بل اكتفى بالإشارة إلى أنّه نور ينتشر ويملأ الكلّ، نور يختلف عن ذاك الذي يحدثه الهواء. تدلّ عبارة « مملوء نورًا» على أنّ المكان كان مفعمًا بالألوهيّة التي كانت دائمًا تتمثّل بالنور. ليس لهذا النور منشأ منظور، بيد أنّه يملأ الكلّ، لأنّ الله حاضر في الكلّ، وفي الوقت عينه، يأتي ويملأ الجوّ، ثمّ يغيب دون أن يغادر المكان الذي هو قائمٌ فيه!!!

ويتابع الدمشقيّ قائلًا: «هو مكان مقدّس ولائق بسكنى الإنسان المخلوق على صورة الله. ليس الفردوس مكانًا للوجود البشريّ فقط، إنّما، أيضًا، مكانٌ للحضور الإلهيّ». لم يكن لعدن معنًى حسيًّا، وحسب، إنّما مجازيّ أيضًا، يُدرك بالنفس والروح، فالفردوس يحوي الأشياء كلّها بما أنّه حسّيّ، وبما أنّه مجازيّ يُبيّن لنا بأنّ مسكن الإنسان هو مسكن الله أيضًا. وبكلام آخر وكأنّ الله اقتسم ثوبه الخاصّ مع الإنسان الأوّل. هذا كلّه يشير إلى مدى تنازل الله وانحنائه نحو الإنسان، ومقدار بذل ذاته بكلّيّتها له. لقد منح اللهُ الإنسانَ كلّ شيء، ولهذا دُعيت عدنُ فردوسًا. أقام آدم في الفردوس، وراح يتمشّى فيه ويتنزّه ويرقد حيثما أراد، وكأنّ الفردوس صار خاصّته الدائمة أي إنّ الله بات مسكنه الدائم، لأنّ الفردوس هو مكان إلهيّ. لقد أحاط اللهُ آدمَ بنفسه، ولذلك لم يكن للفردوس سور ولا حرّاس من الملائكة أو رؤساء الملائكة، لأنّ الله الخالق نفسه كان حارسَه وحاميه.

قد نتجاور لسنوات عديدة، ومع ذلك لا يعرف واحدنا الآخر، أمّا في الفردوس، فرغم شسوعه واتساعه كان الله وآدم يتعايشان ويتعارفان، ولم يكن في عدن سواهما حتّى الحيوانات لم تكن قد وُجدت بعد، لأنّ الله خلقها بعد أن صنع الإنسان لكي تخدمه: «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ...» (تك ٢ : ١٩) كما يعلّمنا القدّيس يوحنّا الدمشقيّ. وهكذا يتّضح لنا بأنّ الله كان كلّ شيء بالنسبة إلى آدم، وفردوس آدم هو الله نفسه، لأنّ كلّ شيء فيه مُقدّس. وَلْنَلِجِ الآن، إلى حديقة الدير لنرى وجه التشابه بينها وبين الفردوس. بالحقيقة، هناك وجها شبه. **الأوّل**: إنّ الفردوس، كما أسلفنا، كان بمنأى عن المساكن، بل وُجد في مكان ما من الشرق، أي أنّه بعيد جدًّا. كذلك الدير، فهو دائمًا على حدة، منفصل عن العالم عن الأماكن. أمّا التشابه **الثاني**، فهو أنّ الدير يكون عادة، مغلقًا ومحاطًا إمّا بسور أو مبنيّ على صخور شاهقة **كدير سيمونس بترس** مثلًا. إذًا هو كالفردوس لا يمكن للعالم الوصول إليه، وهذا يُشير إلى أنّ الله وحده حامي الرهبان وحافظهم، ولذلك لا يمكن لزوبعة العالم وتجارب الناس أن تخرق سوره (الروحيّ طبعًا). كلّ شيء في الدير مُقدّس، لأنّ الجميع يعملون في خدمة الله، ومحبّة الله. لا يوجد في الدير تجارة أو مصانع أو مشاريع بشريّة بالمعنى العامّ للكلمة، إذ لا شيء فيه «**دنيوي**»، فالأشياء والأعمال كافّة وحتّى المباني هي «آنية مقدّسة» تنتمي إلى عالم الله.

ولكي نفهم، بشكل أوضح، ما عاشه آدم في عدن، دعونا نستعين بأقوال الأنبياء، وكتاب الرؤيا المليء بالرموز عن الفردوس الأرضيّ، والتي تُثير فينا حبّ التعرّف على الفردوس السماويّ.

لقد سبق أن قلنا بأنّ كلّ شيء في الفردوس مكرّس لله، أو يخصّ الله كما يذكر **زخريّا النبيّ**: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ عَلَى جَلاَجِلِ الْخَيْلِ: «قُدْسٌ لِلرَّبِّ» (الجلاجل = الأجراس الصغيرة)، وَالْقُدُورُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ تَكُونُ كَالْجَامَاتِ. (الكؤوس، ومفردها جام) أَمَامَ الْمَذْبَحِ، وَكُلُّ قِدْرٍ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي يَهُوذَا تَكُونُ قُدْسًا لِرَبِّ» (زك ١٤ : ٢٠). جلاجل الخيل هي صورة تُطبّق على حياتنا اليوميّة، وتبلغ بنا إلى فهم المعاني السماويّة، أي إنّه حتّى جلاجل الخيل مقدّسة ومُكرّسة لله. كذلك الأوعية، رغم سواد لونها وقذارتها، فهي مُقدّسة ومخصّصة لله. كلّ آنية، مهما كانت، فهي تُقدّم التمجيد لله بما أنّها تخدم مجد الله، وتصير نورًا يضيء الإنسان وتملأه من المجد.

دعونا نتأمّل في هذه الآية من سفر الرؤيا: «وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ.» (رؤيا ٢١ : ٢٧)، ويقصد الأسماء التي كُتبت في ملكوت السماوات. ونحن أعضاء الكنيسة، ألن تُسجَّل أسماؤنا في سجلّ الحياة؟ هل يمكن أن يستثني الله أحدًا، أو أن يكون غير عادل؟ هل يُعقَل أن يقول للواحد أنا أحبّك، فتعال إليّ، ويطرد الآخر قائلًا له: إليك عنّي؟ هذا بالطبع غير ممكن. إن كنّا قد كُتبنا في كتاب الحياة، فهذا يدلّ أنّنا دخلنا ملكوت السماوات بقوّة. ورغم أن طبيعتنا ما زالت متغيّرة متأرجحة، إلّا أنّنا نستهدف السماء، ونتوق إلى سكنى الفردوس، لا بل أصبحنا منذ الآن من سكّانه، وإن كنّا لا نزال نعيش هنا على الأرض، لأنّ الفردوس موجود، في الوقت عينه، على الأرض وفي السماء. إنّها حقيقة واحدة ثابتة، وليست حقيقتين مختلفتين، فنحن نسكن الفردوس ونتنزّه فيه، وفي الوقت عينه، نتّجه نحوه، كما كان آدم تمامًا. قد تكون عيوننا الداخليّة ما زالت مغلقة ولا نستطيع أن نفهم هذا السرّ حاليًا، ولكنّها الحقيقة بأنّ الله فتح الفردوس، ووضعنا، نحن أيضًا، داخله كما فعل مع آدم. ولكن ما علاقة هذا الموضوع بالدير؟! وما هو الدير؟ إنّه الكنيسة في معناها الكامل، تجتمع يوميًّا ليلًا ونهارًا، حاضرة أبدًا للتسبيح وللخدمة. لا تتوقّف الجماعة الديريّة عند ممارسة الخدم الليتورجيّة اليوميّة، إنّما تنشد بسعي دؤوب ومن دون انقطاع، عبر كلّ عمل وخدمة إلى الالتفاف حول كلمة الله باسم المسيح، مؤلّفة بذلك الكنيسة المثاليّة. لهذا تستعمل كنيستُنا الديرَ كصورة عن الفردوس ونموذج له لكي نفهم أسرار الدهر الآتي. الكنيسة هي إعادة الوصال الشركويّ الذي كان يتمتّع به آدم مع الله في الفردوس. الدير هو صورة لمدينة الله السماويّة على الأرض. الفردوس يمثّل حقيقةً حيّةً في الدير. وأمّا المبرّر الأساس لوجود الدير، فهو لأنّه هو ملء الكنيسة الحيّة المعاشة، ونحن جميعنا ندخل في إطار هذه الكنيسة. كلّ شيء في الدير مكشوف أمام ناظري الله. كلّ شيء فيه هو للإنسان، والإنسان هو لله. الله ومعه الملائكة والسماء والنجوم تجتمع في هذا الملكوت الذي أعطانا إيّاه الربّ. لهذا، تتوسّط الكنيسة الرئيسيّة مباني الدير

وتسمّى **الكاثوليكون**. فالكنيسة هي مركز حياتنا ليست الشعائريّة الدينيّة منها وحسب، بل هي محور حياتنا كلّها وأساسها ووجودها. فهل أنتم فخورون بكنيستكم؟ كم ستكون مهيبة وجليلة، بالأكثر، كنيسة أورشليم السماويّة!

ولا بأس إن تابعنا بحثنا في الرؤيا، فنقرأ: «ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ.» (رؤ٢١: ١). يتكلّم **يوحنّا الإنجيليّ** عن حقيقة سماويّة، ويشرح لنا ما هو الفردوس. رأت عين الرسول النبويّة بأنّ: «السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا». مع سقوط آدم انجذبت الطبيعة البشريّة كلّها في تيّار الفساد والانحلال، فكان **مصيرها الموت**. اضطربت السماء والأرض مع سقوط الإنسان الأوّل وتبدّلتا، وما عادتا كما كانتا من قبل. أمّا الآن، فستتغيّران أيضًا، لتصيرا «سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً». لن تعودا جِسِيَّتَيْنِ كما نراهما الآن، لكنّهما ستصيران لامادّيّتين، روحيّتين، وهذه هي الحقيقة التي سيصبح عليها عالمنا، إذ دخلت السماء والأرض في موكب التحوّل، وسوف يتمّ هذا التحوّل بصورة نهائيّة في حالته الإسخاتولوجيّة (الأخرويّة، ما يتعلّق بالآخرة).

كلّ شيء تغيّر. السماء الجديدة (أي مدينة الله)، والأرض الجديدة (أي أورشليم السماويّة)، وحضور الله. علاقتنا مع الله ومع الأرض ومع السماء ستأخذ منذ الآن، ميزةً روحيةً أخرويّة. الذي كان قبلًا ما عاد الآن موجودًا. بمعنى آخر، في هذه السماء وعلى هذه الأرض وفي قلوبنا الخاطئة، يتجدّد حضور الله لأنّه مقيم داخلنا. دخل هذا التجديد في ديناميكيّة سريعة دفعت العالم كلّه، والإنسان بخاصّة، نحو الكمال! يُجدّد الله، منذ الآن فصاعدًا، العالم تجديدًا عميقًا، وما حضور هذا الروح الإلهيّ في العالم سوى الفردوس مهما عصفت به الآلام والأحزان، فالأرض والسماء كوكب واحد، والله يملأهما معًا. يكتب الرسول بولس في الرسالة إلى العبرانيّين: «٢٣وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ،...» (عب ١٢: ٢٣)، فكنيسة الأبكار السماويّة تعادل، إذًا، «موطننا» الأرضيّ. وهذا ما يؤكّده لنا القدّيس بولس في رسالته إلى أهل فيليبي: «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ». (فيليبي٣: ٢٠).

الفردوس والعالم والسماء هي أسرار لا يمكن للإنسان أن يفهمها فهمًا كاملًا لأنّها تتعلق بحقائق إلهيّة، بيد أنّه يُدركها بقلبه ويلمسها بإرادته، ولذلك لا يمكنه إلّا أن يهتف: «نعم، هذا ما صنعته من أسرار وحقائق، يا إلهي، وأردته أن يكون، وليس هناك ما يناقضه».

إنّ طريقة الحياة التي نحياها في هذا المكان السماويّ أي الدير هي خارجة عن حدود المعرفة العقليّة، لأنّها حياة تسمو على العالم، إنّها فوق العالم. إنّه عالم آخر مختلف تمامًا، ويتخطّى العالميّات كلّها. هو فردوس حاضر في العالم، وفي الوقت نفسه، في أعماق قلوبنا. إذًا نحن لا نسكن الفردوس فقط، وإنّما نشترك مسبقًا بأطيابه، ونتذوّق ما تذوّقه آدم عندما كان يتمتّع بنقاوة الطفولة في الفردوس، ولم يكن بعد قد بلغ مرحلة النضوج. كان طاهرًا ومع ذلك لم يستطع أن يفهم الأسرار الموحى بها. إنّ التجربة التي تعرّض لها آدم لقنّته درسًا، ولذلك لا بدّ للفشل الذي تكبّده هو من أن يُساهم في نجاحنا نحن.

هناك في **مغارة بطمس**، مكان ظهور الرؤيا، سمع القدّيس يوحنّا صوتًا: «وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً:«هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ.» (رؤيا٢١: ٣). مسكن الله ينزل «فَرَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ وَمُدَّلاَةٍ عَلَى الأَرْضِ.» (أعمال ١٠: ١١)، فهذا السماط العظيم (المُلاءَة) ما هو إلّا رمز للملكوت السماوات. يحوي الفردوس الجديد الحيوانات الطاهرة، وغير الطاهرة أي الصالحين والخطأة التائبين، فالجميع يعيشون معًا في الفردوس، ويكملون تقدّمهم في هذا الجوّ الفردوسيّ، حتّى يبلغوا حضن الله.

كيف نقابل، يا ترى، هذه الصورة مع ما يُعاش في الدير؟ وكيف نتقدّم ونحن في هذا الفردوس نحو الله؟ العلامة المميّزة لتقرّبنا من الله هي ممارسة الصلاة باستمرار سواء كان في الكنيسة أو خارجها أو أثناء الأعمال الديريّة أو في القلاّية. في كلّ مكان، في كلّ عمل، في كلّ اختبار نشعر بأنّنا قد دخلنا الفردوس حقيقةً، أو، بالأحرى، لم ندخله إنّما قد وجدناه، ونتمتّع بخيراته كلّها، ونتغذّى من أطيابه، ونحرثه بحماس وحرارة ومثابرة، لنجني الكمال الحقيقيّ.

يقول سفر الرؤيا عن هذه المدينة التي تخصّ الله: «وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَالٍ، وَكَانَ لَهَا اثْنَا عَشَرَ بَابًا، وَعَلَى الأَبْوَابِ اثْنَا عَشَرَ مَلاَكًا ...» (رؤيا ٢١: ١٢)، فما معنى هذا؟ سور الفردوس السماويّ أعلى بما لا يقاس من سور الفردوس الأرضيّ. لا شيء يُضاهيه في الحجم، لأنّ الله هو نفسه السور المرتفع جدًّا هو الحارس، وبنفخة فيه يُحرّك الأشياء كلّها ويُنيرها، لأنّه الكلّ في الكلّ. تحاط الأديار بالأسوار العالية ذات القواعد الثابتة المتينة، ولنا مثال على ذلك أساسات الأديار في **الجبل المُقدّس**، التي إن شاهدتموها لا بدّ لكم أن تصرخوا منذهلين: «حقًا، إنّ كلّ شيء هنا هو صورة عن الفردوس!».

لماذا اثنا عشر يا ترى؟ لأنّ الذين يملأون الفردوس هم كُثُرٌ، فالملائكة قائمون على الأبواب ليحرسوها ويؤمّنوا لنا الحماية اللازمة كلّما سعينا إلى توطيد علاقتنا بالله عبر يقظة دائمة. أمّا الأبواب العديدة فلكي تخرج الملائكة منها وتدخل. ولكن هل يا ترى، هم بحاجة لهذه

الأبواب كلّها؟ وهل ينزل القدّيسون الذين سبقونا إلى الفردوس إلى الأرض؟ وهل نستطيع نحن أن نصعد إلى السماء؟ يوضّح لنا القدّيس يوحنّا بأنّ الصلة أو الشركة بين الفردوس السماويّ والفردوس الأرضيّ، أو بين الكنيسة وأورشليم السماويّة، غير منقطعة. فمعسكر القدّيسين يتواصل باستمرار معنا ونحن بدورنا، نتواصل معهم عبر صلوات الكنيسة وممارسة أسرارها. هناك دورة مستمرّة من فوق إلى أسفل تتمّ عَبْرَ هذه الاثني عشر طريقًا أو الاثني عشر بابًا. فالعدد اثنا عشر عدد رمزيّ يمثّل عدد أسباط بني إسرائيل الاثني عشر أو الرسل الاثني عشر. أتعابنا وصلواتنا ودموعنا، كلّها تدخل عبر أبواب الفردوس الاثني عشر هذه، وتصل إلى أُذُنَيِ إلهنا العظيم، وتُقدَّم إلى **ابن الله الوحيد**.

ذكر لنا القدّيس يوحنّا بأنّ السماء والأرض ليستا إلّا مدينة واحدة لها قوّة واحدة وشركة واحدة، وأمّا المسافات بينهما فقد أُلغيت بالكلّيّة. يقول المزمور التسعون: «لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ.» (٩٠:١١). ولذلك تقف الملائكة على الأبواب متأهّبة، وعيونهم شاخصة تترقّب كلّ إشارة تصدر عن الله لتنقلها إلينا. فالملائكة خدّام إلهيّون يحملون صلواتنا إلى الربّ، ويُصعدونها إلى السماوات، ويجعلون القدّيسين شفعاء لنا ومساعدين.

ثمّ يذكر القدّيس يوحنّا بأنّ: «وَأَسَاسَاتُ سُورِ الْمَدِينَةِ مُزَيَّنَةٌ بِكُلِّ حَجَرٍ كَرِيمٍ....» (رؤيا٢١:١٩) لم تُصنع الأساسات بأحجار عاديّة إنّما هي مرصّعة بالأحجار الكريمة. فماذا يعني هذا؟ يعني أنّ أسس المدينة هم الرسل والشهداء القدّيسون والرهبان، فنحن بالنسبة إلى المسيح أبناء محبوبون جدًّا، وبالنسبة إلى الكنيسة نحن أحجار ثمينة كريمة. تشير الأسس غير المنظورة إلى أنّ أسماءنا مكتوبة في مصحف الحياة منذ الدهور، منذ بدء الأزمنة، وقبل خلق العالم، وقبل أن يوجد الفردوس – السماويّ والأرضيّ. لقد سبق لله أن عرفنا واختارنا وحدّد لنا الأمكنة والأزمنة «على أساسات وأسوار»، ولذلك نحن نسعى هنا على الأرض لنبلغ الملء الأخير. يرنّم النبيّ داود قائلًا: «لْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى الرَّبِّ مِثْلُ جَبَلِ صِهْيَوْنَ...» (مزمور ١٢٤:١) أي أقوياء وغير متزعزعين. إنّ رغبة الله ومشيئته هي خلاصنا، وهو لا يتراجع ولا يكلّ ولا يُغيّر رأيه في هذا الشأن، «إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ.» (مزمور ١٢٠:٤)، بل يجد دائمًا الوسيلة اللّازمة ليُخلّصنا، ويتحقّق هذا الخلاص بمقدار ما نسعى في طلبه برجاء وطيد ثابت.

«لا يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ. السَّاكِنُ بِأُورُشَلِيمَ.» (مزمور١٢٤:٢)، فمن هو هذا الساكن في أورشليم إلّا الله؟! ما إن بُني الهيكل في أورشليم، حتّى صار يُذكر فيه اسم الله، وأخذت قبائل إسرائيل جميعها تجتمع فيه لكي تقيم الصلاة، وتشهد على قوّة ربّ الجنود وشدّة إيمان أورشليم (أي الكنيسة) وحياتها وإثمارها ونحن أيضًا سنجتمع كلّنا في ما بعد، في أورشليم – الفردوس حول الله نفسه، أي إنّ الله وأنا نسكن معًا!! «أُورُشَلِيمُ الْمَدِينَةُ الْعَامِرَةُ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا الأَسْوَارُ» (مز١٢١:٣) هي مدينة حصينة توحّدت أجزاؤها كلّها ضمن السور الواحد. اختلفت الأماكن، وتنوّعت طرق القداسة، ولكنّها بقيت تنتمي كلّها إلى هذه المدينة، إلى أورشليم التي هي الحياة مع الله.

يقول القدّيس يوحنّا بأنّه لم يجد للمدينة هيكلًا: «وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلاً» (رؤ٢١: ٢٢). الهيكل هو حضور الله والمكان الذي يتقدّس فيه اسمه. لقد ساهمت الحجارة والماس والخشب في بناء هيكل أورشليم، ولكن عندما نزل الله إلى الأرض، لكي يُجدِّد الكون وَيَتَّحِدَ الأرض مع السماء في الفردوس، بدّلها باللحم والعظم، وبمعنى آخر أصبح الهيكلُ جسدَه الذي اتّخذه من الطبيعة البشريّة «العجنة البشرية»، أي لبس الربّ طينتنا: «أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟...» (رومية ٩:٢١). الربّ، سيّد الكلّ، هو هيكلها: « لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا.» (رؤيا٢١:٢٢). لقد سبق للقدّيس يوحنّا أن قال: «الهيكل لم أره»، فكيف يقول الآن بأنّ الله هو الهيكل؟ نعم، لأنّ المسيح لبس جسدًا، وحمل جدراننا أي جسدنا. يؤكّد هذا القول بأنّنا نحن لباس الله؛ نحن كنيسته الحيّة تمامًا **كمريم العذراء الفائقة القداسة** التي حملت السيّد في حشاها، هكذا نحن أيضًا، فما إن اتّخذ الله جسدنا حتّى أصبحنا مشتركين في ألوهيّته. نحن نشكّل معه جسدًا واحدًا، والرأس هو المسيح: «كَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ.» (رومية١٢:٥). وأيضًا: «وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (أفس ١:٢١-٢٢). وخلاصة القول إنّ حياتنا تحوّلت عن الأرضيّات وانتقلت إلى السماويّات، وصارت أعماقنا هيكلًا يغمره الله ويُنيره. فما عاد الهواء بحاجة لأن يصفر، ولا حاجة أيضًا للضوء، لأنّ الابن يقيم داخلنا، هو فينا: «وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا.» (رؤيا ٢١: ٢٣).

بما أنّ الآب هو مع الابن فهو إذًا معنا. حيث نكون نحن يكون هو أيضًا. وحيث يكون هو نكون نحن أيضًا، فيا له من أمر عظيم! أوَنتساءل بعد إن كنّا قد وجدنا الفردوس؟ لكنّنا نحن في الفردوس! لم يخترع الله فردوسًا آخر لكي نفتّش عنه، صنع منّا نحن فردوسًا، نحن في الفردوس. ما هذا السرّ العجيب! إن أدركناه لا بدّ أن نفقد صوابنا هاتفين: «**الأفضل لنا بأن تبتلعنا الأرض وتُطبق فاها علينا!**». هو سرّ قريب منّا جدًّا ومألوف لدينا، ومع ذلك فنحن نتجاهله وننساه، باستمرار في حياتنا اليوميّة، وأثناء أعمالنا ونحن نسير في الطريق، أو في كَنَفِ العائلة أو في أي ظرف أو موقف آخر، ولا نشعر بأنّنا موجودون في ملكوت السماوات، وبأن كلّ واحد منّا يملك مع ملك السماوات والأرض.

صنع الله منّا جلاله ومجده فكيف إذًا لا ندركه ولا نلمسه في ذواتنا كلّ حين؟ الله اللامنظور صار خادمًا لنا، جعل ذاته تلميذًا لنا يتبعنا إلى بيوتنا لكي يقيم بشكل غير منظور معنا. هو حاضر بشكل غير منظور في هذه الكنيسة أي في هذا الفردوس، ونحن أكبر الخَطَأَة، حجارة كريمة في عينيه.

أحد الأرثوذكسيّة

حروب الأيقونات – مؤرّخ الكرسي الانطاكي: د. أسد رستم
بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس

أحد الأرثوذكسية:

هو **الأحد الأول من الصوم** نُعَيِّد فيه تذكار تعليق ورفع الأيقونات المقدّسة بعد حقبة طويلة من السنين عُرفت **بحرب الأيقونات** وذلك في القرنين الثامن والتاسع ميلادي.

استمرت **حرب الأيقونات** ١٢٠عامًا، حيث دُمّرت وحُرقت الكثير من الأيقونات، وسُفكت فيها دماء عديدة من الرهبان والمؤمنين الذين دافعوا بشراسة عن لاهوت الأيقونة وارتباطها بسرّ التجسّد. أسباب عديدة ومختلفة أدّت إلى هذا الاضطهاد الدموي، منها من داخل الكنيسة نفسها، ومنها عوامل خارجيّة محيطة ومعتقدات اخرى مختلفة ومضادة، لكنهّا كلّها سببها واحد وهو: رفض تجسّد المسيح أيْ رفض أن يكون كلمة الله قد اتَّخَذ الطبيعة الإنسانية ما خلا الخطيئة، وبالتالي ضرب مشروع الخلاص كلّه بعرض الحائط. وهذا طبعًا **شيطاني**.

انقسمت هذه الحرب إلى مرحلتين رئيسيتين:

١ – المرحلة الاولى: بدأت في العام ٧٢٦م وامتدت إلى العام ٧٨٧م، وذلك عندما **هاجم الإمبراطور ليون الثالث الأيقونات ومنعها وأحرق واتلف وكسّر منها كلّ ما طالته يداه**، أي أيدي عسكره الذي كان ينفّذ أوامره الصارمة، كما اضطهد لدرجة القتل كلّ من خالف قراراته من المسيحيين. إنتهت المرحلة الاولى في ظل حكم **الإمبراطورة إيريني**. كما انعقد على أَثَرِ هذه الاحداث المجمع المسكوني السابع عام ٧٨٧م في نيقية والذي ضمَّ ٣٥٧ أسقفًا. أقرّ هذا المجمع **تكريم الأيقونات لارتباطها بسر التجسّد**.

٢ – المرحلة الثانية: امتدّت هذه المرحلة من عام ٨١٣م – ٨٤٢م. بعد موت **الإمبراطور ثيوفيل المحارب للأيقونات** قامت **الإمبراطورة ثيودورة** بوقف هذا الاضطهاد الشنيع وكان هذا إنتصارًا ثانيًا.

حجج الهراطقة:

– الله حرَّم في وصاياه رسمًا له لأنه لم يُرَ ولا يُرى.

– إن إكرام الأيقونات لا يجوز لأنه حينئذٍ يعبد الناس المادة.

رد الكنيسة:

– إننا نعبد المسيح ونكرّم القدّيسين وعلى رأسهم والدة الإله وبالتالي نحن لا نكرّم المادة (الخشب – الحجارة) بل الكائن المرسوم فيها، أيّ ما تمثّله.

– « لا يمكن رسم الله الذي لا يدرك، وغير المحدود، أما الآن وقد ظهر الله بالجسد وعاش بين البشر، فأنا أرسم الله الذي تراه العين فأنا لا أعبد المادة بل خالق المادة الذي استحال مادة لأجلي». (القدّيس يوحنا الدمشقي).

– « من حيث أنه ولد من الآب غير القابل للوصف, فلا يمكن أن يكون للمسيح صور، أما من حيث انه ولد من أم عذراء، قابلة للوصف، فله صور تطابق صورة أمه قابلة الوصف». (القدّيس ثيودوروس الستوديني).

* لماذا تصرّ الكنيسة على تخصيص أوّل أحد من آحاد الصوم للإيمان المستقيم؟

السبب أن عقيدتنا اذا كانت منحرفة فالإمساك عن الطعام لا ينفعنا شيئًا. الإيمان الصحيح والقويم هو بدء الحياة المسيحية وركنها واستمرارها.

تأسس هذا العيد عام ٨٤٢م بعد هزيمة محاربة الأيقونات، وكان يُقرأ في هذا الأحد في الكنائس، مستند رسمي اسمه «السينوذيكون» الذي كان يحرّم كلّ الهراطقة بأسمائهم. وشدَّد المسيحيون أن مجاهرة الإنسان بعقيدته واجبٌ وحاجةٌ وشهادةٌ وصدقٌ.

بماذا نحتفل؟: نحتفل في الأحد الأول من الصوم الكبير بعيد أرثوذكسيتنا، الّتي هي كنيسة الآباء والقدّيسين والشهداء والأبرار، فنحتفل بما تنبَّأ به الأنبياء وبالتعليم الذي تسلمناه من الرسل وَكَتَبَهُ الآباء ووافقت عليه المسكونة الذي به بقيت مستقيمة الرأي وأظهرت الحقيقة المتسلمة من **الرب يسوع المسيح** لكل العالم.

التسليم أو التقليد: في المجمع المسكوني الرابع (٤٥١م) وبأسلوب صريح وواضح تم تحديد ما يُسمى بتقليد الكنيسة وحياتها أي التعليم الأرثوذكسي. تعيش الكنيسة هذا التعليم (الأرثوذكسي) كإيمان مسلّم من السيد المسيح ذاته، وتظهره بالتعليم الشفوي أو المكتوب أو بالليتورجية الإلهية كعبادة وشركة أسرارية. يُعتبر التقليد بالنسبة للكنيسة الكنز الثمين، تعيشه استنادًا على إيمان الرسل والآباء والمؤمنين الأرثوذكس، وبه تسعى لكشف كلّ حقائقها، معلنة للعالم بشجاعة وجرأة أن المسيح هو الإله الحقيقي الذي تعبده وتسجد له.

هي تُعلّم بتكريم القدّيسين وعلى رأسهم والدة الإله وذلك لقداسة حياتهم وصدق كلامهم ومؤلفاتهم، ولتضحياتهم في الكنيسة، فهي تقدّم لهم ولأيقوناتهم التكريم، **أمّا السجود هو للمسيح فقط**. فالكل تقدّس بالمسيح وقدّموا له كلّ حياتهم الذي هو الكل بالكل.

لهذا السبب في هذا الأحد تأخذ الكنيسة على عاتقها المسؤولية كاملةً أمام الله والتاريخ وجماعة المؤمنين، وتؤكّد بأن إيمانها هو بالحقيقة إيمان الرسل والآباء وإيمان كلّ أرثوذكسي حقّ.

فهي الوحيدة القادرة على تفسير الإنجيل تفسيرًا مُعاشًا صار إلى تقديس كثيرين، فتعود إلى الآباء الذين فهموا الإنجيل بالروح ذاته الذي كُتب فيه، وعاشوه وتقدّسوا بنعمة الروح القدس، وتعطيهم الأولوية في شرح الإنجيل. (الروحيّ يحكم في كلّ شيء اكو٢:١٥)

انتصار الأرثوذكسية: هذا اليوم هو يوم انتصار، أي انتصار إيمان الكنيسة على التعليم **الكاذب المميت**.

ابتدأ هذا الانتصار منذ تجسّد الله وصيرورته إنسانًا ، فاتحدت الطبيعة الإلهيّة بالطبيعة البشريّة، كما تشير طروباريّة عيد البشارة: اليوم رأس خلاصنا... ويتبعه انتصار المسيح على الموت بالقيامة، فَرَحُنا بقيامة المسيح من الأموات يساوي فَرَحَنا لانتصار الأرثوذكسية على التعليم المنحرف.

وكما يحتفل كلّ مسيحي بالقيامة يجب أن يحتفل كلّ أرثوذكسي بانتصار أرثوذكسيته على انتشار الإيمان المفسد الحياة. قال الرب: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (متى٢٤:٣٥). وقال لبطرس «أنت صخرة وعلى إيمان حقيقي كهذا سأبني كنيستي والموت لن يقوى عليها.» (مت ١٦:١٧-١٨).

هذا هو إيماننا مستند على حضور المسيح في الكنيسة وهو الذي يصونها.

إن النصوص المتلوة أو المرنّمة في صلاتي مساءَ وسَحَرَ هذا الأحد تلّح على **حقيقة التجسّد**. فالمسيح المتجسّد هو المثال الجوهري والأصلي لجميع الأيقونات. وتعبّر بعض جمل التريودي عن المعنى العميق لإكرام هذه الأيقونات.

كان القدّيسون المُمَجَّدُون أيقونات حيةً لله، وإن كانت غير كاملة. لقد باتوا أيقونةً على مثال الأيقونة الأولى أي المسيح الإله المتجسّد. وهذا معنى كلمة أيقونة اليونانيّة التي تعني نموذج عن المثال الأصلي من هنا نقول أن الأيقونة **تُكتب** ولا **تُرسم** أيْ تكتب بالروح فتصبح حيّة كالمسيح الذي تجسّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء على ما نقول في دستور إيماننا.. وأثناء قداس هذا الأحد، نسمع الكاتب الملهم في ما يُتلى من الرسالة إلى العبرانيين، يصف آلام موسى وداود وآباء إسرائيل وشهدائه. هؤلاء كانوا صورًا مرسومة، لا على الخشب بل في الجسد. وكانوا يرمزون إلى الأيقونة النهائية، شخص المخلص وينبئون به.

إنجيل هذا الأحد يعبّر عن الإيمان الأرثوذكسي بقوله: «إنكم من الآن ترون السماء مفتوحةً وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر» (أيّ المسيح). فإذا كان الرّب يسوع هو الجسر القائم بين السماء والأرض يكون هذا تعبيرًا على أنه الإله الوحيد والحقيقي.

من هنا نرى الرسول فيلبس يقود نثنائيل إلى يسوع الذي سيصير هو أيضًا تلميذًا له.

نقطة انعطاف في حياة نثنائيل، وهي أيضًا نقطة انعطاف في حياة كلّ منّا، لحظة أو لحظات نكون فيها جالسين «تحت التينة»، لحظات عصيبة، كان يرانا فيها يسوع، دون أن يكون هو نفسه مَرئيًّا، يتدخّل يقرع بابنا وينتظر جوابنا.

فلنرفع أيقوناتنا عاليًا ولنقل بصوتٍ جهوري: «هذا هو إيماننا وسنحافظ عليه إلى الآبد»

ملحوظة: «الأرثوذكسية» هي كلمةٌ قديمة جدًا تعني التمجيد القويم، أي استقامة الرأي وبالتالي هو الإيمان السليم، من هنا إيمان آبائنا القدّيسين الذي تسلّموه من الرسل، والمسلّم بحدّ ذاته من الرّب يسوع نفسه، والمستمر بالكنيسة مدى الأجيال بالروح القدس، تُرجمت صلوات وتراتيل ومواعظ وانشيد، تعبّر كلّها عن الإيمان الذي هو التسليم الشريف، وهذا التسليم يجمع بالتساوي الكتاب المقدّس والليتورجيا وتعاليم الأباء القدّيسين.

فإذا قارنّا العقيدة بصلواتنا والترتيل والكتاب المقدّس نرى أنهم واحد. وهذا ما تعلنه المجامع المسكونيّة السبعة وحياة الكنيسة كلّها.

*** تفاصيل إضافيّة:** الواقع أن الاعتراض على الأيقونات لم يكن ابن ساعته ففي بدء القرن الرابع حرّم مجمع ألفيرة Elvira المحلّي في اسبانيا إقامة الصور في الكنائس.

ورأى **افسابيوس القيصري (يميل إلى الأريوسيّة بشدّة)** مؤرّخ الكنيسة أن إكرام صور السيّد وبطرس وبولس كان من «عادات الأمم»، وفي القرن الرابع نفسه أيضًا مزّق **ابيفانيوس القبرصي** ستارًا في إحدى كنائس فلسطين لأنه كان يحمل صورة السيّد وأحد القدّيسين.

وفي القرن الخامس اعترض **خينائياس أسقف منبج** (٤٨٨) على الأيقونات قبل سيامته.

ملحوظة:

هذا كلّه **بتأثير أريوسي** الذي يَرفض ألوهة الرّب يسوع المسيح ويعتبره مخلوقًا أي يرفض التجسّد الإلهي.

* * في القرن السادس **جاهد اغاثياس** (٥٨٢+) في حماية أيقونة مار ميخائيل ضد المعترضين، وقبيل نهاية هذا القرن نفسه في السنة ٥٩٩ **حرّم سيرينوس أسقف مرسيلية إقامة الأيقونات في الكنائس** فكتب إليه **القدّيس غريغوريوس بابا رومة** يثني على عدم التعبّد لما هو من صنع البشر، ويذكّر في الوقت نفسه بالمؤمنين الأمّيين الذين لا يقرأون ولا يكتبون، وبضرورة إعانتهم على النظر إلى ما لا يمكنهم أن يقرأوه في الكتب.

ويجب ألّا يغيب عن البال أن اليهود لم يرضوا قط عن شيء من هذا، وأن الإسلام علّم بأن الأنصاب رجس من عمل الشيطان (سورة المائدة) وأن المانوية بشوها البولسي استنكرت إكرام الأيقونات.

*** لاوون والأيقونات:** يرى «شارل ديل» أن لاوون نشأ في جو عائلي أسيوي يمقت الأيقونات، ويرى في إكرامها خروجًا عن العقيدة القويمة، وأنه رغب في الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فرأى أنه إذا حارب الأيقونات يضرب الرهبان ضربة مكينة فيصيب عصفورين بحجر واحد.

ويلمس كار شينك في شخص **لاوون الثالث** ورعًا وتصوّفًا شديدين جعلاه يعتبر بما حلّ بالدولة من ويلات إلى إكرام الأيقونات.

ويقول كارل شفارتز لوزي بشيء من هذا، ويضيف أن **لاوون** كان جنديًا خشنًا لا يتذوّق الفن، وأن تربيته العائلية واحتكاكه باليهود والمسلمين دفعاه إلى تحطيم الأيقونات، ولا سيّما وأنه كان يعتبر نفسه رئيسًا زمنيًا وروحيًا في آن واحد.

*** يزيد والأيقونات** (٧٢٣):
يرى رجال الاختصاص أن كتاب المسلمين حرّم الأصنام والأنصاب، ولكنّه سكت عن الصور والرسوم، وأن تحريم هذه جاء في الحديث فقط.

ويرون أيضًا أن الأمويين زيّنوا بعض قصورهم بما مثل الكائنات الحيّة. وأنّهم لم يتورّعوا عن التداول بالعملة البيزنطية التي كانت تحمل رسوم الأباطرة، وأن محاربة رسوم الكائنات الحيّة بدأت في عهد **عبد الملك ابن مروان**.

وهم يرون أيضًا في خلو فسيفساء الجامع الأموي – الكنيسة سابقًا– من رسوم الأحياء، دليلًا على بدء محاربة الرسوم في أوائل القرن الثامن.

شملت **محاربة الأيقونات** الكنائس والمعابد والبيوت، فأمر **عبد الملك بن مروان بتحطيم جميع الصلبان**. ثم جاء **يزيد الثاني** (٧٢٠–٧٢٤) فقرّب يهوديًا من طبرية وأصغى إليه. فأشار عليه هذا بتحطيم جميع الصور والصلبان حيثما وجدت وذلك ليطول عمر الخليفة وعهده. فأمر يزيد بذلك، فتوفّي في السنة التالية.

وجاء في كتاب الخطط للمقريزي (جـ ٢ ص ٤٩٢–٤٩٣) أنه لما **توفّي يزيد**، كان **أسامة بن زيد التنوخي** متوليّ الخراج على النصارى في مصر، فاشتد عليهم وأوقع بهم.

«ثم هُدّمت الكنائس وكُسِرت الصلبان ومُحيت التماثيل وكُسّرت الأصنام جميعها».

وجاء أيضًا في تاريخ **أبي فرج الملطي** أن **يزيدًا** «**أمر أن تُنزع صورة كلّ حيّ من الهياكل والجدران والأخشاب والحجارة والكتب**» وأن **لاوون** ماثله في ذلك.

*** أساقفة آسية الصغرى:** خاض الناس في خبر **يزيد** وانتشر بريده في آسية الصغرى، **فتلقّاه قسطنطين أسقف نقولية Nocotia** برُحب صدره فأطلق لسانه في هذا الموضوع.

فاعترضه رئيسه متروبوليت سنادة Synnada، فقام **قسطنطين** إلى القسطنطينية يبحث موضوع الخلاف بما جاء في الفصل العشرين من سفر الخروج: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهم لأني أنا الرب إلهك إله غيور».

وكان المتروبوليت قد كتب إلى البطريرك في ذلك أيضًا. فأسكت البطريرك الأسقف، وكتب إلى المتروبوليت ودفع بردّه هذا إلى الأسقف طالبًا أن يوصله إلى رئيسه. فعاد الأسقف إلى نقولية واحتفظ برسالة البطريرك فاغتاظ المتروبوليت. وعلم البطريرك بذلك فكتب إلى الأسقف يهدّده بالقطع.

وجارى **قسطنطين** كلّ من توما أسقف كلوديابوليس، وثيودوسيوس رئيس أساقفة أفسس. فكانت مشادة وكان انطلاق في سبيل **تحطيم الأيقونات**.

*** بسر السوري ولاوون:**
(٧٢٣). وقد جاء في **حوليّات ثيوفانس أن لاوون** أحب **مارقًا** سوريًا اسمه **بسر** (**المارق:شخصٌ خارج من الدِّين، مُرتَدّ، جاحِد.**)، وأنّ **بسرًا** هذا كان بطلًا مغوارًا فأحبّه **لاوون** وعطف عليه.

ووقع **بسر** أسيرًا في يد العرب، فدخل الإسلام ونال حظوة عند يهودي طبري كان **يزيد الخليفة** قد قرّبه من شخصه.

وجاء أيضًا أن بسرًا عاد إلى القسطنطينية في السنة ٧٢٣ واتّصل **بلاوون** فجعله **بِطْرِيقًا** فَقُتِلَ في **ثورة الارتفزدة** في السنة ٧٤٠.

ويعلّق بعض رجال البحث أهمية على اتّصال **بسر بلاوون**، فيشيرون إلى أن **لاوون** أعلن موقفه من الأيقونات في السنة نفسها التي اتّصل بها **ببسر**.

*** بركان سنتورينة:** وثار بركان جزيرة سنتورينة في السنة ٧٢٦ وغارت جزيرة صغيرة بالقرب منها، وظهرت جزيرة جديدة فوق سطح المياه فرأى **لاوون** في هذا كله غضبًا ربانيًّا فدعا الناس في العاصمة، وخطب فيهم مُنذرًا موجبًا التعبد لله وحده والتندّم على ما فرط منهم في إكرام الأيقونات.

فدمدم الحضور وهمهموا، فأكّد الأمبراطور أنّه لا يقصد التهاون بالأيقونات ولا الاستهانة بها، وإنّما يرغب في رفعها إلى محلات عالية في الكنيسة كي لا يؤدّي لمسها وتقبيلها إلى اتلافها. ولكن في

الحقيقة كان الأمر مختلفًا وهذا ما ستثبّته الأحداث لاحقًا.

* أيقونة خالكة:

(٧٢٧) ثم أطلق **لاوون** لنفسه عِنَانَ هواه، فأمر في مطلع السنة ٧٢٧ بإنزال **أيقونة السيّد المخلّص** من مكانها فوق أحد مداخل **قصر خالكة**.

فاضطرب سكان العاصمة وهجم بعضهم يمنع إنزال الأيقونة. فصدَّهم رجال الأمن، فاصطدم الفريقان ووقعت بعض الضحايا. فألقي القبض على المتظاهرين وجُلد بعضهم وشوّه البعض الآخر ونفي غيرهم.

ولم تلقَ دعاية **لاوون** آذانًا صاغية بين أساتذة جامعة القسطنطينية، فغضب لكرامته وشوّش عليهم. ولعلّه أقفل هذه المؤسسة.

*** البطريرك والبابا:** ولم يتراجع **لاوون** عن آرائه، فظلّ حتى السنة ٧٣٠ يتحيّن الفرص ويفاوض. ففي السنة ٧٢٨ فاوض **جرمانوس البطريرك المسكوني** في أمر الأيقونات، وزعم أن جميع البطاركة والأباطرة ضلّوا بما قاموا به من إكرام واحترام للأيقونات. فلم يتجاوب جرمانوس معه وخيّب أمله.

وكتب **لاوون** في هذه الأثناء رسالة إلى **بابا رومة غريغوريوس الثاني** واعدًا وعدًا كريمًا في حال الموافقة على تحريم الأيقونات، متوعّدًا بالخلع إن هو خالف **الرغبة الملكية**. فأنذر **غريغوريوس** المؤمنين **بطغيان الأمبراطور**.

ويستدل مما تبقى من نصوص هذه الرسائل، أن **لاوون** تذرّع بالتوراة لتحريم الأيقونات فاستشهد بالفصل الثامن عشر من سفر الملوك الثاني فذكر «كيف أزال حزقيا المشارف وحطّم الأنصاب وسحق حيّة النحاس التي كان موسى صنعها لبني إسرائيل، كانوا إلى تلك الأيام يقترون لها وسموها نحوشتان» وادّعى أنه إنما يقتضي أثر هذا الملك الصالح.

ومما احتج به **لاوون** في هذه الرسالة، أنّه اعتبر نفسه **كاهنًا وامبراطورًا**.

أما **غريغوريوس** فإنه عاب على **لاوون** اقدامه على ما فعل بدون مشاورة السلطات المختصّة، وأكّد له أن ما ورد في التوراة إنما جاء ليردع اليهود عن التعبد للأوثان.

وفي أواخر السنة ٧٢٩ أعاد **لاوون** الكرّة فبحث موضوع الأيقونات مرّة ثانية مع **جرمانوس**، ولكنّ **جرمانوس** أصرّ على إيمان الآباء بتكريم الأيقونات بما تمثّله.

* تحريم الأيقونات:

في عام ٧٣٠ قام **لاوون** بدعوة المجلس Silention الذي يضم أعضاء مجلس الشيوخ الأعلى، وكبار رجال الدولة والكنيسة إلى جلسة قانونية في **قصر دفنة**.

وكان **لاوون** قد **أمر بإعداد بيان رسمي** بتحريم الأيقونات. فلمّا اكتمل الحضور طلب **الأمبراطور** إلى **البطريرك جرمانوس** أن يوقّع هذا البيان. فرفض **البطريرك** ورفع الأوموفوريون وقال إلى **الأمبراطور**: «أنا يوناني اطرحوني في البحر. لا يمكنني أن أعترف إلّابالدستور الذي أقرّه المجمع المسكوني» وخرج إلى بيت أبيه وأكمل أيامه فيه.

واعتبر **لاوون** الكرسي القسطنطيني شاغرًا فأوعز بارتقاء **انسطاسيوس السنكلوس**. فانتُخِب هذا **بطريركًا مسكونيًا** في الثامن والعشرين من الشهر نفسه ودعا **المجمع القسطنطيني** إلى الانعقاد، **وحرَّم** استعمال الأيقونات.

وأرسل الرسائل السلامية، ووجَّه إحداها إلى **غريغوريوس الثاني بابا رومة** وأعلمه بما فعل. فاعترض **أسقف رومة وألحّ عليه بوجوب العودة إلى الأرثوذكسية**.

وضيّق **الأمبراطور والبطريرك الجديد** على من أيّد الأيقونات وعذّبا عددًا كبيرًا من المؤمنين وشوّها وأعدما.

*** موقف كنيسة أنطاكية:** كانت كنيسة أنطاكية لا تزال ميتّمة لا راعي لها. ولكن **ابنها البار يوحنا الدمشقي** هبَّ للدفاع عن الدين القويم فصنّف رسائل ثلاثًا ردَّ بها على **لاوون وأتباعه** فأتحف الكنيسة الجامعة بحجج لاهوتية منطقية دامغة أصبحت فيما بعد حجة الكنيسة الرئيسية.

وتُعتبر رسائله هذه، أفضل ما صُنِّفَ، لأنّه أثبت فيها مقدرة في الاجتهاد فاق بها جميع أقرانه من علماء القرن الثامن.

ولم يكتفِ قدّيسنا بقول بولس الرسول: «تمسّكوا بالتقاليد (التسليم) التي تعلّمتموها إما بكلامنا وإما برسالتنا» بل ربط تكريم الأيقونة بسرّ التجسّد الإلهي وسرّ الخلاص مُؤكّدًا أن من يحارب الأيقونات ينكر حرمة شكل الإله المنظور ويهدّد سرّ التجسد بالانهيار.

ويرى بعض رجال الاختصاص أن **يوحنا الدمشقي** تكلّم في هذا الموضوع باسم **يوحنا الخامس بطريرك أورشليم** ، **وزعيم كنيستي أورشليم وأنطاكية آنئذ**، وأن هذا ما جعله يهدّد **لاوون** باللعنة والقطع.

ومما يذكر لهذه المناسبة أن قدّيسنا اعترض على تدّخل **لاوون** في أمور العقيدة واعتبر البحث فيها من خصائص الكنيسة الجامعة وحدها.

وأدّى اهتمام **لاوون** بالدين إلى سلخ أبرشيات أشورية عن كنيسة أنطاكية وضمّها إلى كنيسة القسطنطينية. فخسرت كنيسة أنطاكية **أربعة وعشرين أسقفًا ومتروبوليتًا**. ولعل الظرف السياسي الحربي قضى بهذه التجزئة. فإن سورية أصبحت بعد الوجود الإسلامي بعيدة عن أنطاكية خاضعة لأمبراطور الروم.

البابا غريغوريوس الثالث (٧٣١-٧٤١):

ودعا غريغوريوس الثالث إلى مجمع محلي في روما في أول تشرين الثاني من السنة ٧٣١. فحرم هذا المجمع كلّ من قاوم احترام الأيقونات وإكرامها.

فحرَّم **لاوون** بدوره أسقف رومة من دخل أوقافه في كلابرية وصقلية، ورفع سلطته الروحية عن الكنائس اليرية وكلابرية وسردينية وألحقها كلها بالبطريركية المسكونية. فبذر بعمله هذا شقاقًا في الكنيسة أدّى فيما بعد إلى عواقب وخيمة.

* **قسطنطين الزبلي** (٧٤٠-٧٧٥): وتوفي **لاوون** في السنة ٧٤٠ فتسلّم **قسطنطين الخامس** أَزِمَّةَ الحكم في القسطنطينية.

وتبنّى **قسطنطين** مقاومة الأيقونات فأكّد استحالة تمثيل الله بواسطة المادة، لأن المادة زائلة والله دائم. وقال إن ما يصح عن الله ينطبق على العذراء والقدّيسين لأنهم أصبحوا عند الله. فإذا ما مُثلوا بالمادة نُزع عنهم شرف وجودهم أمام الله.

وأضاف أن المسيح هو صورة الآب فإذا ما مثّلناه بالمادة نزعنا عنه طبيعته الإلهية وأصبحنا من النساطرة.

ويقول **البطريرك نيقوفوروس** أن **قسطنطين** صنّف رسالة في هذا الموضوع، أكد فيها استحالة تمثيل طَبِيعَتَيِ المسيح الإله وأوجب اعتبار الافخارستيا صورة السيد الوحيدة. وهام قسطنطين في ضلاله فاستبدل اللفظ «**ايبوستاسيس**» الذي أقرّه الآباء في المجامع باللفظ «**بروسيتون**» فجارى بذلك من قال **بالطبيعة الواحدة**.

ثم شرع في اضطهاد الكنيسة فسخر بكلّ قدّيس وبالاحتفال به. ومنع الأعياد والأصوام. وحطّم الأيقونات وطلى جدران الكنائس بما يطمس الصور والرسوم. ولكنّه احترم الصليب، فزين به كلّ حَنِيَّةٍ ورسمه مكبّرًا على سقوف الكنائس وحفره في المسكوكات والأختام.

ملحوظة: وجاء صليب هؤلاء المحطّمين عريض الأطراف شبيهًا إلى حدٍّ مُعين بصليب فرسان مالطة. وظهر في بعض الأحيان في المصكوكات والأختام قائمًا فوق مدرج صغير. وبدا أحيانًا أخرى في مجموع من الأغصان المورقة متأثرًا بشكل صليب النصر القسطنطيني. ولعل علاقة الصليب بالنصر كانت هي الدافع لاستمساك المحطمين بالصليب وإبقائهم عليه.

وعلى أثر تفاقم الخلاف بين **امبراطور الروم** وبين **كبار رجال الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية في بطريركيات أنطاكية وأورشليم والاسكندرية**، ضَعُفَت سلطة **هشام بن عبد الملك** ريبته (ريب = بلا شَكٍّ) فرخّص لهم بالرجوع إلى حقوقهم القديمة بإقامة بطاركة لهم من أحبارهم البلديين. فانتخبوا راهبًا أعزّه هشام وأجلّه، فَرُقِّي السدة الأنطاكية في السنة ٧٤٢ باسم **اسطفانوس الرابع**.

واشتد الجدل في هذه الآونة بين علماء المسلمين وبين الآباء المسيحيين، تخاصموا وتغالبوا في المناظرة يريد كلّ واحد إقحام خصمه.

وتدخل **بطرس متروبوليت دمشق** في هذا الجدل، وأيّده **اسطفانوس الرابع البطريرك الأنطاكي الجديد**، فغضب **الوليد الثاني خليفة هشام** (٧٤٣-٧٤٤) لكرامة الإسلام والمسلمين، فأمر **باسطفانوس فقطع لسانه** وتوفي في السنة ٧٤٤. ثم أمر **ببطرس فقطع لسانه** أيضًا ونفي إلى «**العربية السعيدة**» (**العربية السعيدة: هو اسم لاتيني استخدمه الجغرافيون لوصف الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية في غرب القارة الآسيوية**).

وفي السنة ٧٤٥ رضي **مروان الثاني** عن **الكاهن الأرثوذكسي ثيوفيلكتوس بن قنبرة الصائغ الرهاوي**، فأوعز **بانتخابه بطريركًا على أنطاكية**. فانتخب وتسلّم عكاز الرعاية. وحرّر الرسائل السلامية فوجهها إلى زملائه **رؤساء الكنائس الخمس**. ودافع عن سلامة العقيدة.

* **مجمع هييرية** (٧٥٤): وقام **قسطنطين الزبلي** في حوالي السنة ٧٥٣ يستمزج الرعايا في أمر العقيدة التي كان قد عقد نيّته عليها، فأمر الولاة والمطارنة بعقد الاجتماعات لهذه الغاية.

وبعد أن لاحت أشراط (علامات) الفوز دعا الأساقفة إلى مجمع في قصر هييرية بالقرب من خلقيدونية في العاشر من شباط سنة ٧٥٤. فالتأم في هذا الموعد **ثلاث مئة وثمانية وثلاثون أسقفًا**. ولم يظهر بينهم أي **ممثّل لكنائس رومة والإسكندرية وأورشليم وأنطاكية**. وتوفي **انسطاسيوس البطريرك القسطنطيني** قبيل انعقاد هذا المجمع، فتولى الرئاسة فيه **ثيودوروس متروبوليت افسس**. وكان قد اشتهر بعدائه للأيقونات.

وبحث الآباء المجتمعون أمر الأيقونات، فتبنّوا قول **لاوون وابنه** وأوجبوا نزعها. وأكّدوا أن تصوير المسيح بالمادة يعني واحدًا من اثنين: إمّا القول مع نسطوريوس بإمكانية فصل الطبيعتين وتصوير واحدة منهما وهي البشرية، أو تأييد المونوفيسيين والقول معهم بطبيعة واحدة هي الإلهية.

وأبى الآباء أن يتقبّلوا شيئًا من آراء الزبلي الخصوصية.

وفي منتصف شهر آب من السنة ٧٥٤ قدّم **الزبلي البطريرك الجديد قسطنطين سيلايون** إلى الآباء المجتمعين. ثم أعلنت في السابع والعشرين خلاصة أعمال هذا المجمع مشفوعة **بإرادة امبراطورية** تقضي بالتنفيذ وتؤدي بقطع (حرمان) كلّ من **جرمانوس القسطنطيني وجاورجيوس القبرصي ويوحنا الدمشقي**.

وانتحل الآباء المجتمعون الصفة المسكونية لهذا المجمع فاعتبروه المجمع المسكوني السابع.

تضييق واضطهاد: وَتَقَوَّى **قسطنطين الخامس الزبلي** بقرارات هذا المجمع فاندفع في محاربة الأيقونات أكثر من ذي قبل وصب غيظه وبلاءه على الرهبان. فكم **عَيْنٍ قلع وكم يد وأذن قطع** فضلًا عن قتلهم. وأكره طائفة منهم على الزواج إكراهًا. واستعرض مرة فئة منهم في ميدان الهيبودروم موجبًا على كل منهم أن يمسك بيد امرأة في أثناء العرض.

ويقول **ثيوفانس** أن **حاكمًا من حكّام آسية الصغرى** جمع رهبان ولايته وراهباتها فأمرهم بأن يرتدوا الأبيض ويتزوجوا حالًا، ومن لم يطع فتسمل عيناه ويقصى إلى قبرص.

فهنأه **الزبلي** قائلًا: لقد وجدت في شخصك رجلًا يحب ما أُحب وينفذ جميع رغباتي. وصادر **الزبلي** أملاك الأديرة وضمها إلى أملاك الدولة.

وهكذا فرّ عدد كبير من الرهبان إلى إيطالية وجنوب روسيا وشاطئ لبنان وفلسطين.

الأحد الثاني من الصوم المقدّس

الرسالة

أَنْتَ يَا ربُّ تَحْفَظنا وتَسْترنا خَلِّصني يا ربُّ. فإِنَّ البَارَّ قد فَنِيَ

فصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانين

(عب ١: ١٠-١٤و٢: ١-٣)

انت يا ربُّ في البدءِ أَسَّسْتَ الأرض، والسماواتُ هي صُنْعُ يدَيْك ✻ وهي تزول وأنت تبقى، وكلُّها تبلى كالثوب ✻ وتطويها كالرداءِ فتتغيَّر، وانت أنت وسِنُوك لن تفنى ✻ ولِمَنْ من الملائكة قال قَطُّ: اجلسْ عن يميني حتَّى أَجعل أعداءَك موطئًا لقدمَيْك؟ ✻ أليسوا جميعُهم أرواحًا خادمة تُرسَل للخدمة من اجل الذين سيرثون الخلاص؟ ✻ فلذلك يجب علينا أن نُصغي الى ما سمعناهُ إصغاءً أشدَّ لئَلَّا يَسْرَبَ من أَذهاننا ✻ فإنَّها إن كانت الكلمة التي نُطِقَ بها على ألسنة ملائكةٍ قد ثَبَتَت، وكلُّ تَعَدٍّ ومعصية نال جزاءً عدلًا ✻ فكيف نُفْلِتُ نحن إن أهملنا خلاصًا عظيمًا كهذا قد ابتدأَ النُّطْقُ به على لسان الربِّ ثُمَّ ثبّتَهُ لنا الذين سَمِعُوهُ ؟

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس مرقس الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر(مر ٢: ١-١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوع كفرناحوم وسُمِعَ أَنَّهُ في بيتٍ ✻ فللوقت اجتمع كثيرون حتَّى انَّهُ لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حول الباب يسع، وكان يخاطبهم بالكلمة ✻ فأَتوا اليه بمخلَّعٍ يحملهُ أربعةٌ ✻ واذ لم يقدروا أن يقتربوا اليهِ لسبب الجمع، كشفوا السقف حيث كان. وبعد ما نقبوهُ دلَّوا السرير الذي كان المخلَّعُ مضطجعًا عليه ✻ فلمَّا رأَى يسوع إيمانهم، قال للمخلَّع: يا بُنيَّ، مغفورةٌ لك خطاياك ✻ وكان قومٌ من الكتبة جالسين هناك يُفكّرون في قلوبهم: ما بالُ هذا يتكلّم هكذا بالتجديف؟ مَن يقدر أن يغفر الخطايا الَّا الله وحدهُ؟ ✻ فللوقت علم يسوع بروحهِ أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسهم فقال لهم: لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم؟ ✻ ما الأيسر، أن يُقال مغفورةٌ لك خطاياك، أم أن يُقال قُمْ واحمل سريرك وامشِ؟ ✻ ولكن لكي تعلموا أنَّ ابن البشر له سلطانٌ على الأرض أن يغفر الخطايا، (قال للمخلَّع): لك أقول قُمْ واحمل سريرك واذهب الى بيتك ✻ فقام للوقت وحمل سريره وخرج امام الجميع حتَّى دهِش كلُّهم ومجَّدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قَطُّ

ينتهي إنجيل الأحد الأول من الصوم بتلميح إلى خدمة الملائكة. وتأتي رسالة اليوم (العبرانيون ١: ١٠- ٢: ٣) أيضًا على ذكر الملائكة. فالنص المقدس يقارن بين خدمة الملائكة وخدمة المخلِّص نفسه التي تفوقها. إذا كان العصيان على مضمون الرسائل التي تبلّغنا إياها الملائكة هو معاقب حقًا، فكم تكون معاقبة الإنسان الذي يُهمل خلاصًا بَشَّر به المسيح وأتى به، إذ (لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ؟).

يروي **إنجيل هذا اليوم** (مرقس ٢: ١-١٢) قصة شفاء مخلع كفرناحوم. لقد غفر خطاياه وأجاب:-إذ تعجب الكتبة من أن أحداً غير الله يستطيع غفران الخطايا.-: (أيما أيسر أن يُقال: غُفرت لك خطاياك أم أن يُقال: قم فاحمل سريرك وامشِ ؟ ولكن، لكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا، أقول لك: قم فاحمل سريرك واذهب إلى بيتك). فالموضوع الرئيسي لهذا الحادث هو القدرة على الغفران والشفاء معًا التي يمتلكها الرب يسوع. ثم عندنا التأكيد – بالإضافة إلى البرهان – على أنه لا يجب فصل الشفاء والغفران. فالمُخَلَّعُ، وهو مُلقى على سريره، قد وُضع عند قدمي المسيح. لكن لم تكن أول كلمة ليسوع: (اشفَ)، بل: (غُفرت خطاياك). فعلينا، في أوجاعنا الجسدية، أن نُصلّي من أجل تطهيرنا الداخلي، من أجل غفران زلاتنا، حتى قبل التماس النجاة المادية. وأخيرًا أمر يسوع المَشْفِيَّ بأن يحمل سريره إلى البيت. فمن جهة، يصبح الجمع مقتنعًا بصورة أفضل، بحقيقة المعجزة إن رأى هذا الرجل قد أعيد قويًا بالكفاية ليحمل سريره. ومن جهة أخرى، فعلى من غُفر له، وتغيّر داخليًا على يد يسوع، أن يبيّن لأهل بيته، بعلامة جليّة (ليس بحمل السرير، بل بالأقوال والأفعال والمواقف) أنه إنسان جديد.

وتجدر الملاحظة أن رسالة هذا اليوم وإنجيله لا علاقة لهما **بالقديس غريغوريوس بالاماس**، مع أن التقويم يربط اسمه بالأحد الثاني من الصوم. وذلك لأن تذكار بالاماس لم يدخل إلّا في القرن الرابع عشر، في حين كانت فيه بنية هذا الأحد الليتورجية قد سبق إقرارها بموجب خطوط أخرى. يرد ذكر غريغوريوس بالاماس في خِدْمَتَيِ المساء والسَحَرِ. فقد عرض **القديس غريغوريوس بالاماس (١)** العقيدة اللاهوتية المتعلقة (بالنور) الإلهي ودافع عنها دفاعًا جبارًا. لكن لا تدخل نصوص الخدمة في تفاصيل أو توضيحات حول المفاهيم الخاصة ببالماس، بل تتكلم بصورة عامة عن النور وعن الذي قال: (أنا نور العالم). يجمع أحد نصوص صلاة السَحَر ثلاث أفكار رئيسية: **فكرة المسيح الذي ينير الخاطئين، فكرة إمساك الصوم، وفكرة كلمة (قم) التي وجهها المخلّصُ إلى المخلَّع** والتي نوجهها نحن الآن إليه: (أيها المسيح، يا من أشرقت نورًا للساكنين في ديجور الخطايا، في أوان الإمساك أَرِنَا يوم آلامك الجليل، لنهتف إليك: قم يا لله فارحمنا).

(١) أعلن قداسة غريغوريوس بالاماس (١٢٩٦- ١٣٥٩) **البطريرك فيلوثيوس والمجمع المنعقد في القسطنطينية عام** ١٣٦٨. أمّا الشيء الأساسي في الفكر البالاماسي فهو التمييز بين الجوهر الإلهي، الذي لا يُدْنَى منه، و (القوى) أو (الأفعال) الإلهية، غير المخلوقة، ولكن القابلة للرؤية البشرية. وقد احتلت رؤية (النور غير المخلوق) — الذي هو فعل إلهي- مكانًا كبيرًا في تعاليم المتصوفين البيزنطيين (الروميّين) المسميّن: الهادئين (he'sychastes) .

الأحد الثالث من الصوم المقدّس

خَلِّص يا ربُّ شعبك وبارك ميراثك   إليكَ يا ربُّ أصرخ إلهي

فصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين

(عب ٤:١٤-١٦+ ٥:١ -٦)

يا إخوةُ اذ لنا رئيس كهنةٍ عظيمٌ قد اجتاز السماوات، يسوع ابن الله، فلنتمسَّكْ بالاعتراف ❋ لأنّ ليس لنا رئيس كهنةٍ غير قادرٍ أن يرثي لأَوهاننا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئَة ❋ فَلْنُقبِل إذَنْ بثقةٍ الى عرش النعمة لننال رحمةً ونجد ثقةً للإغاثة في أوانها ❋ فإنَّ كلَّ رئيس كهنةٍ مُتَّخَذٍ من الناس يُقام لأجل الناس فيما هو لله ليقرّب تقادِمَ وذبائح عن الخطايا في إمكانِه أن يُشفِق على الذين يجهلون ويضلُّون لكونه هو أيضًا متلبّسًا بالضعف ❋ ولهذا يجب عليهِ أن يُقرّب عن الخطايا لأجل نفسهِ كما يقرِّب لأجل الشعب ❋ وليس أحدٌ يأخذ لنفسهِ الكرامة بل مَن دعاهُ الله كما دعا هُرون ❋ كذلك المسيح لم يُمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنةٍ بل الذي قال له: "أنت ابني وأنا اليوم ولدتُكَ"، كما يقول في موضع آخر: "أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق".

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس

مرقس الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر(مر ٨:٣٤-٩:١)

قال الرب: من أراد أن يتبعني فليكفُرْ بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني، لأنَّ مَن أراد أن يخلِّص نفسهُ يُهلكها، ومَن أهلك نفسهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلِّصها ❋ فإنَّهُ ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلَّهُ وخسر نفسهُ ❋ أم ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسهِ؟ ❋ لأنَّ من يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ يستحيي به ابنُ البشر متى أتى في مجد أبيه مع الملائكة القديسين ❋ وقال لهم: الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يروا ملكوت الله قد أتى بقوَّةٍ.

في منتصف الصوم، تنصب الكنيسة أمامنا صليب المسيح. وتفعل ذلك مرتين أُخْرَيَيْنِ في السنة، في ١٤ أيلول وأول آب، معيدة الصليب إلى ذاكرتنا وتكريمنا. وفي هذين العيدين يرتبط السجود للصليب بحوادث تاريخية (٢). أمّا تذكار الصليب في الأحد الثالث من الصوم، فيستدعي فقط إيماننا وتقوانا، إذ يدور الأمر حول الجهر بدور الصليب في تاريخ الخلاص، وحول استعدادنا لرؤية هذا الصليب الذي سيقام يوم الجمعة العظيم على الجلجلة التي ما زالت بعيدة.

خلال صلاة السَحَر، نحو نهاية الذكصولوجية الكبرى، يضع الكاهن صليبًا على طبق مُزيّن بالزهور. وإذ يحمل الصليب فوق رأسه، يخرج من الهيكل، تتقدمه شموع مضاءة وبخور. عندما يصل إلى وسط الكنيسة، يضع الصليب على طاولة، ثم يبخره وترنم الجوقة: «لصليبك يا سيّدنا نسجد ولقيامتك المقدسة نمجّد». ثم يأتي الشعب ليقبّل الصليب الذي يبقى معروضًا هكذا في وسط الكنيسة خلال العيد كله. وتُعبّر الترنيمة التالية من صلاة السَحَر تعبيرًا جيدًا عن معنى هذا العيد:

(إذ نشاهد اليوم صليب المسيح الكريم موضوعًا، فلنسجد له بإيمان فرحين، ونعانقه بشوق، مبتهلين إلى الرب الذي صُلب عليه بمشيئته، أن يؤهلنا جميعًا للسجود للصليب الكريم وأن نبلغ نهار القيامة جميعًا ونحن لا دينونة علينا).

تحثنا الرسالة التي تتلى في القداس (عبر ٤:١٤- ٦:٥) أن نُقبل بثقة إلى عرش النعمة لننال غفران خطايانا بما أن يسوع هو كاهننا العظيم. (**لأنّ ليس لنا رئيس كهنةٍ غير قادرٍ أن يرثي لأَوهاننا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئَة**).

ويذكرنا الإنجيل (مرقس ٨:٣٤-٩:١) بكلمات المعلّم الهامة والملحاح: (**من أراد أن يتبعني فليكفُرْ بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني، لأنَّ مَن أراد أن يخلِّص نفسهُ يُهلكها، ومَن أهلك نفسهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلِّصها**). هل أنا مستعد أن أتبع المسيح حاملًا الصليب (لا الصليب الذي أكون قد اخترته بل الصليب الذي يضعه هو نفسه على كاهلي ؟) هل أنا مستعد أن أقبل جميع المِحَنِ أو الآلام التي يمكن أن تطرأ عليّ، كاشتراك في صليب المخلّص؟ عندما أدنو بعد هنيهة من الصليب المعروض في

وسط الكنيسة وأقبلّه، أستكون قبلتي قبلة خاطئ غير تائب، قبلة يهوذا، أم حركة احترام سطحية لا تغيّر شيئًا في حياتي، أم علامة سجود وإيمان وحنان تُلزم وجودي برمته ؟

إن إنجيل هذا اليوم ينتهي بهذه العبارة: (**الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يروا ملكوت الله قد أتى بقوَّةٍ**). فليس المقصود هنا مجيء المسيح الثاني المجيد، في نهاية العالم. المقصود هو مجيء المسيح بقوة، الذي تمّ في العنصرة وكان الجيل المسيحي الأول شاهدًا له. لكن المقصود أيضًا هو مجيء غير منظور، غير مشهدي للملكوت في النفوس المؤمنة الورعة. حبذا لو يكون مصيري الشخصي هكذا، حبذا لو أن الموت لا يدركني دون أن يتمكن مُلك يسوع من نفسي.

(٢) إن عيد ١٤ أيلول – (رفع) الصليب أو (العثور) عليه في **اورشليم** عام ٣٣٥ بعد (عثور) القديسة هيلانة، والدة الإمبراطور قسطنطين على عود الصليب. ويقيم عيد أول آب ذكرى الصليب المقدس وهو تطواف مهيب للصليب حدث في **القسطنطينية** عام ٦٤١. للصون من الأمراض الفتّاكة التي اجتاحت المنطقة.

سنكسار
القديس كيرللس الأورشليمي

القديس كيرلّس الاورشليمي شخصية كنسية كبيرة من القرن الرابع، وجّه عمله نحو التبشير، فاضحى مدرسة في التعليم المسيحي والارشاد.

لا يُعرف مكان وزمان مولده، الّا انه يرجح انه وُلِدَ في اورشليم حوالي عام ٣١٥م. الشيء الاكيد انه اصبح أُسقفا على اورشليم سنة ٣٤٩م، وقد رسمه **متروبوليت قيصرية فلسطين اكاكيوس الاريوسي**، الذي اعتقد بانه كان على مذهبه. الّا ان الخلاف نشب بينهما بعدما **دافع كيرلّس عن مجمع نيقية وعقيدته**.

كان أبواه تقيّين غَرَسَا في قلبه الإيمان المستقيم وحبّ الصلاة والكتب المقدّسة. لفت كيرلّس انتباه مكسيموس أسقف أورشليم فرسمه كاهنًا عام ٣٤٤ ووكل إليه تعليم الموعوظين وتهيئتهم للمعموديّة المقدّسة. انتُخب أسقفًا على أورشليم عام ٣٤٩م. نُفِيَ ثلاث مرّات بعد أن اتّهمه الهراطقة الآريوسيّون. شهد له عموم الأساقفة المجتمعون في المجمع المسكونيّ الثاني المنعقد في القسطنطينيّة بأرثوذكسيّته بالقول: «نحن نقرّ ونعترف بأنّ كيرلّس الحبر الجليل الموقّر قد جاهد الجهاد الحسن ضدّ الآريوسيّين في أوقات وأماكن مختلفة». توفّي عام ٣٨٧ بعد حياة أسقفيّة دامت ٣٨ عامًا قضى منها ١٦عامًا في المنفى بعيدًا عن كرسيّه. تعيّد له الكنيسة في الثامن عشر من آذار.

ذاق كيرلّس اثناء اسقفيته مرارة النفي المتكرر. ففي عام ٣٥٧م عقد **اكاكيوس** مجمعًا في اورشليم وتمكن من نفيه الى تراسيوس. الّا انه أُعيد الى اسقفيته بعد عام بقرار من مجمع سليفكيا. وفي عام ٣٦٠م تمكن **اكاكيوس** مجدّدًا من نفي كيرلّس، وظل منفيًا حتى اعتلاء يوليانوس عرش الامبراطورية عام ٣٦٢م. الّا انَّ النفي الاطول كان عام ٧٦٣م بامر من **الامبرطور فالنس** والذي دام احد عشر عاما اي حتى عام ٣٧٨م. وبذلك يكون **كيرلّس** قد قضى اربعة عشر عامًا في المنفى، اي حوالي نصف مدة اسقفيته.

لا يُعدّ كيرلّس من بين أعلام اللاهوت الكبار أو أصحاب المواقف العقائديّة البارزة. فكان خير ما تجلّى فيه العظات التعليميّة التي ألقاها في زمنَي الصوم والفصح المجيد لطالبي المعموديّة (الموعوظين)، وللمعمّدين الجدد (المستنيرين). إلى جانب هذه العظات التعليميّة خلّف كيرلّس عظة في شفاء المخلّع، ورسالة وجّهها إلى **الإمبراطور كونستنسيوس** يطلعه فيها على أعجوبةٍ ظهر فيها **الصليب** متلألئًا في سماء أورشليم ما بين القبر المقدّس وجبل الزيتون. لدينا ٢٤ عظة تعليميّة يبدو أنّ كيرلّس ألقاها قبل عيد الفصح وبعده عام ٣٤٨. أمّا السبب الدافع لإلقائها في هذا الزمن من السنة فهو أنّ المعموديّة كانت تتمّ في موسم الفصح لارتباط المعموديّة بموت الربّ يسوع وقيامته.

القديس كيرلّس الاورشليمي يعتبر كتابه «التعليم الديني» وهو مؤلف من ٢٤ تعليمًا، القاها في كنيسة القيامة، من اهم الكنوز المسيحية، وقد حُفظ هذا الكتاب في عدد كبير من المخطوطات نظرًا لاهميته إنْ من ناحية التعليم والارشاد او من الناحية الروحية. ويمكننا ان نقسم الكتاب الى قسمين:

– القسم الاول ويمكن تسميته «تعليم الموعوظين» وهو عبارة عن ١٩ تعليمًا، وهو موجه الى المزمعين ان يستنيروا (اي الذين سوف يتقبلون المعمودية) ويتضمن هذه الجزء مُخططًا عن العقائد الاساسية، وقوانين تتعلق بحياة المؤمنين وتفسيرًا لاهوتيًّا لدستور الايمان الذي سوف يتلونه في المعمودية.

– القسم الثاني ويمكن تسميته «التعليم الاسراري» ويتضمن ٥ تعاليم موجهة الى المستنيرين حديثًا (اي الذين تقبلوا المعمودية) وهذا الجزء هو شرح للأسرار. التعليم ٢٠ و٢١ هو لسرّ المعمودية، ٢٢ لسرّ الميرون، ٢٣ لسرّ الشكر، ٢٤ شرح القداس الالهي.

يعرض كيرلّس في إحدى عظاته للإيمان الأرثوذكسيّ بألوهة السيّد المسيح، مردّدًا تعابير قانون الإيمان الذي أُقرّ في المجمع المسكونيّ الأوّل، فيقول: «آمنوا بابن الله الوحيد الأحد، ربّنا يسوع المسيح، إله من إله، حياة من حياة، نور من نور، مماثل للآب في كلّ شيء». ويفسّر كيرلّس قصد الكنيسة من قولها إنّ ابن الله وُلد من الآب قبل كلّ الدهور، فيضيف قائلًا: «في الولادة الجسديّة الأب يسبق الابن زمنيًّا، ولكنّ الابن مولود من الآب قبل كلّ الدهور ولا فارق زمنيّ بينهما. الولادة الجسديّة تعني أنّ المولود الجديد قاصر وهو بحاجة إلى عناية لينمو ويكبر. ولكنّ ابن الله الوحيد ولد من الآب كاملًا». فإذا كان الله أزليًّا من دون بداية، وليس ثمّة وقت يفصل بين وجود الآب ووجود الابن، فهذا يعني أنّ ابن الله أزليّ وهو بالتالي إله من إله.

ويؤكّد القدّيس الأورشليميّ أيضًا على **ألوهة الروح القدس**، وذلك

للردّ على القائلين بدونيّة الروح القدس أمام الآب والابن، فيقول: «الروح القدس وحده مثل الابن يرى الآب وجهًا لوجه. الابن الوحيد يشترك في ألوهة الآب مع الروح القدس». والاعتراف بالروح القدس إلهًا له علاقة بالخلاص، فكيرلّس يذكر بأنّ «الخلاص بالنسبة إلينا يأتي من الآب والابن والروح القدس، ثالوثًا ذا جوهر واحد، متناغمًا وغير منفصل». هذا الكلام الذي تفوّه به القدّيس كيرلّس ردّده بعده المجمع المسكونيّ الثاني الذي أضاف على قانون الإيمان البند المتعلّق بالروح القدس موضحًا حقيقة السجود للروح القدس مع الآب والابن.

تحتّل المعموديّة عند كيرلّس المكانة الأولى في تعليمه، وذلك أمر بديهيّ إذ إنّ أغلب عظاته موجّهة إلى المقبلين على المعموديّة. وهو يتوسّع في شرحه لمعنى المعموديّة كما عرض له القدّيس الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية، ف«جرن المعموديّة صورة للقبر الذي دُفن فيه يسوع بعد أن أُنزل عن الصليب. وطلب من كلّ منكم أن يعترف بإيمانه بالآب والابن والروح القدس ثمّ نزل في الماء ثلاث مرّات وصعد منها في شبه المسيح الذي ذاق الدفن ذا الثلاثة الأيّام». إذًا المعموديّة موت ودفن وقيامة من بين الأموات. لهذا نرى القدّيس الأورشليميّ يشدّد في مكان آخر على رمزيّة الموت والحياة في مياه المعموديّة، فيشبّهها بالأم التي تعطي الحياة: «لأنّكُمْ دُفنتم وولدتم في آن معًا. مياه المعموديّة قبر وأم في آن معًا. كتب سليمان قائلًا: للولادة وقت وللموت وقت (الجامعة ٣ :٢). ولكن بالنسبة إلينا عكس ذلك صحيح، وقت الموت هو نفسه وقت الولادة». وكأنّ كيرلّس هنا يستعيد ما قاله بولس الرسول الذي يؤكّد أن لا سلطان للموت على الإنسان بعد أن يعتمد، ذلك لأنّ الإنسان يموت مرّة واحدة في المعموديّة، ويحيا إنسانًا جديدًا على صورة المسيح الناهض من بين الأموات.

يؤكّد كيرلّس في مقدّمته على كون المعموديّة تُمنح مرّة واحدة في الحياة، فيقول: «لا يمكن تقبّل غسل الميلاد الثاني (يقصد المعموديّة) مرّتين أو ثلاثًا. إنّ ما تفقده مرّة لا يمكنك استعادته، لأنّ الربّ واحد، والإيمان واحد، والمعموديّة واحدة». كما يسعنا الاستنتاج من المقدّمة أنّ كثيرين ممّن كانوا يُقبلون على التنصّر آنذاك إنّما كانوا يُقبلون لغايات مختلفة سياسيّة، أو اجتماعيّة، أو وظيفيّة، بعيدة عن روح المسيحيّين الأوّلين وقناعاتهم. ولهذا يحذّرهم كيرلّس من الإقبال لأسباب غير محمودة، فخطأ كهذا من شأنه أن يفسد المعموديّة «**فالماء يقبلك ولكنّ الروح لن يقبلك**».

ويميّز كيرلّس بين **معموديّة يوحنّا والمعموديّة في المسيح**، فيقول: «لا يظنّن أحدٌ أنّ المعموديّة ليست إلّا نعمة مغفرة الخطايا والتبنّي الإلهيّ، مثل معموديّة يوحنّا الذي كان يمنح مغفرة الخطايا. أمّا نحن فنعلم أنّ المعموديّة، وإنْ كانت لتطهير الخطايا والمشاركة في موهبة الروح القدس، إنّما هي أيضًا صورة لآلام المسيح فينا». وهنا يستشهد كيرلّس برسالة القدّيس بولس إلى أهل رومية: «أوَتجهلون أنّا، وقد اعتمدنا في يسوع المسيح، إنّما اعتمدنا في موته، فدُفنّا معه في المعموديّة لنموت فنحيا» (رو٦: ٣-٤). من هنا، يؤكّد كيرلّس التعليم الكنسيّ في شأن المعموديّة من حيث إنّها تمنح مغفرة الخطايا والتبنّي، إلّا أنّها أصلًا المشاركة في موت الربّ وقيامته والحياة الجديدة معه.

ويؤكّد القدّيس كيرلّس على أهميّة سرّ الشكر (المناولة)، فيركّز على حقيقة حضور الربّ في القربانين المقدّمة، وتاليًا على حقيقة اتّحادنا به من خلال تناولنا جسده ودمه: «لنتناول جسد الربّ ودمه بثقة. لأنّنا أعطينا جسده في شكل الخبز ودمه في شكل الخمر. وإذ نتناول جسده ودمه نصبح معه جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا. هكذا نصبح حَمَلَةَ المسيح». ويستشهد **قدّيسنا** ببطرس الرسول في رسالته الثانية (١: ٤) بأنّنا نصير «شركاء الطبيعة الإلهيّة» بواسطة المناولة. ويشدّد كيرلّس على أهميّة الصلاة من أجل المرضى والمضنيّين والمسافرين والموتى الراقدين، ذلك أنّنا شركاء معهم في جسد المسيح الواحد. ويقول القدّيس عن الراقدين: «كذلك نحن عندما نتضرّع من أجل الراقدين... نقرّب المسيح الذي مات ليمحو كلّ إثم فيصفح به إلهنا الرحيم عنّا وعنهم».

يقول القدّيس كيرلّس: «إنّ الله يهبك النعمة، وشأنك أن تتلقّاها وتحفظها». يعطي الله النعمة مجّانًا، إلّا أنّه ينتظر جواب الإنسان الذي له **ملء الحرّيّة بأن يقبلها أو يرفضها**. شأننا، نحن المؤمنين بقوّة النعمة التي حُزناها في المعموديّة، أن نحيا ونتجدّد فنتوب إلى الله، وهكذا نكون قد حفظنا الوديعة، أي النعمة.

يدعو كيرلّس سرّ الميرون المقدّس ب «مسحة المسيح» التي بها ينال المؤمنون مواهب الروح القدس، فيقول: «ها إنّكم اعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح (غلاطية ٣، ٢٧)، فأصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله (رومية ٨، ٢٩). إنّكم أصبحتم مُسحاء بتلقيكم ختم الروح القدس». ثمّ يتابع قائلًا في العظة عينها: «بهذا الدهن (الميرون) مُسحتَ رمزيا على جبينك وسائر حواسّك. وفي الوقت الذي يُمسح فيه جسدك بالدهن المنظور تُقدَّس نفسك بالروح القدس المحيي». ويؤكد قدّيسنا أخيرًا أنّ الإفخارستيّا تكمل الدخول إلى الكنيسة، فيدعو المعمدين إلى المشاركة في جسد المسيح الحقيقيّ ودمه الحقيقيّ المتاحَين لهم في القداس، فيقول للمشكّكين في هذه الحقيقة: «لقد سبق للمسيح في عرس قانا الجليل أن حوّل الماء إلى خمر بفعل إرادته، أفلا يكون جديرًا بالتصديق عندما يحوّل الخمر إلى دمه؟».

ينقل إلينا القدّيس كيرلّس الأورشليميّ الإيمان حياةً نحياها في سبيل الوصول إلى الخلاص. التعليم، بالنسبة إليه، ينبغي ألّا يتوقّف عند الكلام وترداده ببغائيّة مملّة وغير فاعلة. لذلك ينبّه سامعَه إلى كون المعموديّة قد زرعت فيه النعمة التي عليه أن يسقيها بسلوكه الطريق المستقيم وتنفيذه لوصايا الربّ وتعاليمه. ويسعنا القول أنّ وصيّته لتلاميذه ولنا شخصيًّا هي قوله بإيجاز وافٍ: «أُذكر الأشياء التي قيلت، لأنّنا نقولها، ليس فقط لكي تسمعها، بل لكي تحفظها بالإيمان».

عِظَة: الكِبَر والتواضع

للقديس يوحنا الذهبي الفم

فدعاهم يسوع وقال لهم: «فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ.» (مر ١٠: ٤٢).

إذن، لا تخف أن تُضيّع مجدك بتواضعك. فبالتواضع ترتفع أكثر من قبل. إن التواضع باب الملكوت السماوي. فلماذا تسير نحو الباب المعاكس.

لماذا تتسلّح ضد نفسك؟ إن شئت أن تكون عظيمًا فلا يكون ذلك. إن كانت عظمتك عن طريق الكِبَر فلا بدّ لك من السقوط. فإذا لم تطلب العظمة كنت عظيمًا لأن العظمة تأتي من التواضع.

إن عظمة التواضع هي العظمة الحقيقية لأنها لا ترتكز على الكلام والألقاب. فالذي يترك **الكبرياء** يكون عظيمًا، والذي يتّصف بها يكون صغيرًا ولو كان سيدًا.

ان المجد الذي يأتي عن **طريق العنف والقسر** لا يلبث أن يضيع. أما المجد المرتكز على الأعمال الصالحة فهو ثابت لا يتزعزع ولن يزول.

لذلك نحن نُكرّم **قدّيسي الله** الذين ارتفعوا على الجميع بتواضعهم ولم يستطع الموت أن ينزع مجدهم عنهم.

لنثبت هذا ببراهين معقولة: اعتاد الناس حسب الاصطلاح أن يدعوا العالي مَن كان كبير الجسم وطويل القامة أو كان واقفًا في مكان مرتفع. والواطيء من كان على العكس. فلنبحث مَن هو العالي الحقيقي.

أهو المتكبّر يا ترى أم المتواضع؟ اننا نثبت جيدًا أنّ لا شيء أعلى وأرفع من التواضع، ولا شيء أدنى وأوطأ من الكِبَر. المتكبر يرى نفسه أعلى من الجميع ولا يجد أحدًا معادلًا له مهمَا سما، لأنه يطلب المزيد ويحتقر الآخرين، ويطلب منهم أن يجلّوه ويحترموه.

فيا لَلْجَهَالَةِ! ما أبعد غرضه عن العقل السليم، انه يطلب الاحترام ممن لا يحترمهم ولا يعدّهم شيئًا، وهكذا بهذا الارتفاع الزائف يهبط إلى الحضيض. وبعدم اعتباره غيره يكشف عن شخصه ويدلّ على أن **الأخلاق السيئة صفة المتكبرين!**

أما الكبير الحقيقي فيحترم الآخرين ولا يتكبّر عليهم ويعدّ احترامهم إياه أمرًا عظيمًا. وبهذا يكون كبيرًا حقًّا. ولبعده عن **الشهوات الرديئة لا يطغى عليه الغضب، ولا يتظاهر بالرفعة، ولا يأكله الحسد والغيرة.** فهل من نفس أرفع من هذه النفس المنزّهة عن الصفات الرديئة؟

أما المتكبّر فعكس ما ذكر، لأن نفسه **ثائرة بالحسد والبغض والغضب.** فمن هو المتكبر الحقيقي؟ أذلك الذي تناله الشهوات ولا تتسلّط عليه؟ أم الذي يكون عبدًا لها فيضطرب ويرتعد منها؟

أَهُوَ الطائر المحلّق في الفضاء؟ أذلك الذي يطير فوق سهام الصياد أم الذي يهبط إليها لعجزه عن الارتفاع؟ هكذا المتكبّر يقع في أول أحبولة لميله إلى الهبوط إلى الحضيض، وعكسه المتواضع الذي يرتفع إلى ما فوق الشمس، ويحلّق في طبقات الجوّ تاركًا الملائكة وراءه حتى يقترب من عرش إله المجد.

ثم لكي نبين حقارة المتكبرين نسأل مَن هو المحتقر يا ترى؟ أذلك الذي يقدم ذبيحته أمام العليّ، أم ذلك الذي لا يجسر أن يتقدّم إليه؟

وقد تقول: ما هي ذبيحة المتواضع؟ فأُجيبك بقول مرنّم المزامير: «الذبيحة لله روح منسحق. القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله» أترى طهارة المتواضع؟ انتبه جدًا لرجاسة المتكبر! إنّ كل ذي قلب متعجرف لا يُبرر أمام الله، ناهيك أيضًا بأن المتواضع مسكن لله.

أما **المتكبر فيتعذّب مع إبليس** لأن **عذاب المتكبر كعذاب إبليس.** وهكذا يحصل المتكبر على عكس ما يريد أن يتكبر حتى يحصل على الفخر والاعتبار فيمسي عرضة للهزء والاحتقار.

فهل من حالة أتعس من الحالة المذكورة؟ نعم انها لشرّ مستطير! ان المتواضع يرضي الله وهو محبوب ومغبوط، ويتمتع بثقة البشر لأنهم يحترمونه كأب، ويحبّونه كأخ، ويقبلونه كأعزّ الناس لديهم.

لا يكره الله شيئًا كالكبرياء. لذلك، منذ البدء، عمل على إبادة هذه الخصلة الذميمة من البشر، التي بسببها نموت، ومن أجلها نعيش في غور البكاء، ونصرف حياتنا بالتعب والمشقات، فلا يحدينا الكِبَر شيئًا بل يسلبنا ما لدينا.

فالإنسان الأول وقع في الخطيئة **بالكبرياء** لأنه أراد أن يكون معادلًا لله فأضاع ما كان عنده. أما التواضع فلا يسلبنا شيئًا بل يزيدنا نعمةً وخيرًا.

لنسِرْ إذًا إِثْرَ التواضع حتى نسمو وَنَسْعَد في حياتنا ونحصل على المجد الآتي بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له مع الآب والروح القدس المجد والملك والشرف والسجود من الآن وإلى دهر الداهرين.

الإنسان العتيق والإنسان الجديد

للقديس مكاريوس الكبير

«عن ملكوت الظلمة . أي ملكوت الخطيئة . وأن الله هو القادر وحده أن ينزع منا الخطيئة ويخلصنا من عبودية رئيس الشر»

١) إن **ملكوت الظلمة، الظلمة، الظلمة، أي الرئيس الشرير**، لمّا أسر الإنسان في البدء، قد غمر النفس وكساها بقوة الظلمة كما يكسو الإنسان إنسانًا غيره «لكيما يجعلوه ملكًا، ويلبسونه الملابس الملوكية من رأسه إلى قدمه» (١). وبنفس هذه الطريقة قد كسا الرئيس الشرير، النفس وكل جوهرها بالخطيئة. ولوثها بكليتها، وأخذها بكليتها أسيرة إلى ملكوته، ولم يدع عضوًا واحدًا منها حرًا منه، لا الأفكار، ولا القلب، ولا الجسد، بل كساها كلها بأرجوان الظلمة.

لأنه كما أن الجسد لا يتألم منه جزء أو عضو بمفرده، بل الجسد كله يتألم معًا، هكذا النفس بكليتها تألمت بأوجاع الشقاء والخطيئة. فالشرير كسا النفس كلها التي هي الجزء أو العضو الأساسي في الإنسان، كساها بشقائه الخاص، الذي هو الخطيئة، ولذلك أصبح الجسد قابلًا للألم والفساد (الاضمحلال).

الإنسان العتيق :

٢) لأنه عندما يقول الرسول: «اخلعوا الإنسان العتيق» (كو٣:٩)، فهو يقصد إنسانًا بتمامه، فيه عيون مقابل عيون، وآذان مقابل آذان، وأيدي مقابل أيدي، وأرجل مقابل أرجل، لأن الشرير قد لوث الإنسان كله، نفسًا وجسدًا، وَأَحْدَرَهُ من عُلُوِّهِ، وكساه «**بإنسانٍ عتيق**» أي إنسان ملوث، نجس، في حالة عداوة مع الله، « وليس خاضعًا لناموس الله» (رو ٧:٩)، بل هو بكلّيته خطيئة، حتى أن الإنسان لا يعود ينظر كما يشاء هو بل ينظر بعين شريرة، ويسمع بأذن شريرة، وله أرجل تسرع إلى فعل الشر، ويداه تقترف الإثم، وقلبه ينبضُ شرورًا. لذلك فلنتوسل إلى الله أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزع الخطيئة منا. لأن الذين قاموا بأسرنا ولا يزالون يستبقوننا في مملكتهم، هم أقوى منا. ولكنه قد وعدنا بأن يحرّرنا من هذه العبودية المؤلمة. فعندما تكون هناك شمس ساخنة وتهب معها الريح، فإن كلًا من الشمس والريح لهما كيان وطبيعة خاصة بهما، ولكن لا يستطيع أحد أن يفصل بين الشمس والريح إلّا الله الذي يستطيع وحده أن يمنع الريح من الهبوب، وبنفس المثال، فإن الخطيئة ممتزجة بالنفس، على الرغم من أن لكل منهما طبيعته الخاصة.

٣) فمن المستحيل الفصل بين النفس والخطيئة، إن لم يوقف الله ويسكّت الريح الشريرة، الساكنة في النفس وفي الجسد.

وكما أن الإنسان إذا رأى عصفورًا يطير، فإنه يشتاق أن يطير هو أيضًا، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يملك أجنحة يطير بها. كذلك أيضًا فإن إرادة الإنسان حاضرة (رو٦:٨) وقد يشتهي أن يكون نقيًا، وبلا لوم، وبلا عيب، وألّا يكون فيه شيئٌ من الشر، بل أن يكون دائمًا مع الله، ولكنه لا يملك القوة ليكون كذلك. وقد تكون شهوته هي أن يطير إلى الجو الإلهي، وإلى حرية الروح القدس، ولكن لا يمكنه ذلك إلّا إذا أُعطيت له أجنحة (لتحقيق هذه الغاية). فلنلتمس من الله أن ينعم علينا «بأجنحة» (مز٥٥:٦) ، ولكي يفصل الريح الشريرة ويقطعها من نفوسنا وأجسادنا، تلك الريح التي هي الخطيئة الساكنة في أعضاء نفوسنا وأجسادنا. ليس أحد إلّا هو (الروح القدس) الذي يستطيع أن يفعل هذا الأمر.

يقول الكتاب: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩)، إنه وحده الذي أظهر هذه الرحمة لأولئك الأشخاص الذين يؤمنون به، إذ أنه يخلّصهم من الخطيئة، وهو يحقق هذا الخلاص الذي لا يُنطق به لأولئك الذين ينتظرونه دائمًا، ويضعون رجاءهم فيه ويطلبونه بلا انقطاع.

٤) وكما أنه يحدث في أحدى الليالي المظلمة الكئيبة أن تهب ريح عاصفة وتحرّك وتفتش كل الزروع والنباتات وتهزها، وهكذا حينما يسقط الإنسان تحت **سلطة ظلام ليل الشيطان، ويصير في الليل والظلمة، فإنه يتكدّر بواسطة تلك الريح المرعبة ريح الخطيئة التي تهب (عليه) فتهزه وتقلبه وتفتش أعماق طبيعته كلها: نفسه وأفكاره، وعقله، وتهز أيضًا كل أعضاء جسده، ولا ينجو عضو سواء من أعضاء النفس أو أعضاء الجسد، ويبقى بمأمن من الخطيئة الساكنة فينا**. وبالمثل فهناك **نهار النور والريح الإلهية، ريح الروح القدس، التي تهب وتنعش النفوس التي تكون في نهار النور**

الإلهي. والروح القدس ينفذ في جوهر النفس كلها وفي أفكارها وكل كيانها، وكذلك ينعش ويريح كل أعضاء الجسد براحة إلهية تفوق الوصف. وهذا هو ما أعلن عنه الرسول عندما قال: « لسنا أبناء ليل أو ظلمة، بل جميعنا أبناء نور وأبناء نهار» (١تس٥:٥).

الإنسان الجديد:

وكما أنه هناك في الحالة الأولى – **حالة الخطيئة والسقوط** – فإن الإنسان القديم قد لبس إنسان الفساد بكليّته، أي لبس ثوب مملكة الظلمة، ورداء التجديف وعدم الإيمان، وعدم المبالاة والمجد الباطل والكبرياء والجشع والشهوة، وكل الفخاخ الأخرى الوسخة غير الطاهرة البغيضة التي لمملكة الظلمة، هكذا يحدث الآن، فإن كل الذين خلعوا الإنسان العتيق، الذي هو من تحت – **من الأرض**– كل الذين **خلع عنهم يسوع رداء مملكة الظلمة . قد لبسوا الإنسان الجديد السماوي . أي يسوع المسيح . بكل عضو مقابل (العتيق): عيون مقابل عيون، آذان مقابل آذان، رأس مقابل رأس، ليكون الإنسان كله نقيًا بارتدائه الصورة السماوية.**

٥) هؤلاء قد ألبسهم الرب لباس ملكوت النور الذي لا يُنطق به، لباس الإيمان والرجاء والمحبة والفرح والسلام والصلاح واللطف وكل الملابس الأخرى الإلهية الحيّة التي لنور الحياة، ملابس الراحة التي لا يُعبّر عنها، حتى كما أن الله نفسه هو محبة وفرح وسلام ولطف وصلاح، فكذلك يكون الإنسان الجديد بالنعمة.

وكما أن مملكة الظلمة والخطيئة تبقى خفيّة في النفس إلى يوم القيامة، الذي فيه سوف تُغمر أجساد الخطأة أيضًا بالظلمة المختفية

الآن في النفس، هكذا مملكة النور، والصورة السماوية – يسوع المسيح – يضيء الآن سرًا داخل النفس، ويملك في نفوس القديسين ولكنه مخفي عن عيون الناس، وعيون النفس فقط هي التي ترى المسيح حقًا حتى يأتي يوم القيامة، الذي فيه سيُغمر الجسد أيضًا بنور الرب ويتمجد به، ذلك النور المختفي الآن في نفس الإنسان، ليملك الجسد أيضًا مع النفس التي تنال منذ الآن ملكوت المسيح وتستريح مستنيرة بالنور الأبدي. فالمجد لمراحمه وحنانه وشفقته، لأنه هكذا يعطف على عبيده وينيرهم، وينقذهم من مملكة الظلمة ويمنحهم نوره الخاص وملكوته الخاص. له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

(١) **الاقتباس**: – لم يذكر مصدره – وهو ليس اقتباسًا من الكتاب المقدس، والقصد منه، على أية حال، هو إعطاء فكرة التغطية الكلّية بالملابس.

"الاعتراف ينقذ الأرواح": قصة حقيقية

استقبل أحد الكهنة في تسالونيكي شابًا معذّبًا لم يكن يعرفه، وتقبّل اعترافه. استمع بعناية إلى ما قاله الشاب، ورأى المشاكل التي كانت تزعجه، وتعاطف معه، وأعطاه توجيهات حول كيفية التحرر من مشاعره ومشاكله. في النهاية ، أعطاه الحلّ. بعد ذلك، شعر الكاهن بالحاجة إلى التحدث إلى الشاب بطريقة تصويرية. وكما تأخذ الأم طفلها وتُظهِر ما يحدث في العالم، أخذ الشابَ إلى الكنيسة وراح يجول بعينيه بحثًا عن مشهد مناسب إلى أن توقّف عند أيقونة السيد المسيح وهو ينقذ بطرس من الأمواج، حيث يظهر المسيح يمد يده ويأخذ يد بطرس فيما يغرق الأخير. كان بطرس قد طلب من الرب أن يجعله قادرًا على السير على الماء وأجابه الرب: «تعال». لكن بشكل مفاجئ، فِكرُ بطرس أفقده الإيمان وبدأ يغرق في المياه. فهم الشاب القصة التي في المشهد وشكر الكاهن وغادر. بعد بضعة أيام، راح جرس هاتف الكاهن يرنّ باستمرار. كان والد الشاب، وقد أراد على وجه السرعة أن يخبر الكاهن بما حدث: كان الشاب يسير على الواجهة البحرية في المدينة عندما سمع صرخة استغاثة آتية من الماء.

بحسب ما نشرته **جريدة كاثيميريني**، قفز الشاب إلى مياه خليج مكدونية لإنقاذ رجل مسن سقط في البحر لأسباب غير معروفة. وقع الحادث عند الساعة الواحدة ليلًا على الواجهة البحرية القديمة لمدينة تسالونيكي، عند الطرف الأسفل **لساحة أرستوتاليس**. كانت مجموعة من الشبان تمرّ من هناك، وإذ بهم يسمعون رجلًا ثمانينيًا يطلب المساعدة. بدون أي تردّد، قفز أحدهم إلى الخليج، وبمساعدة أصدقائه، أخرج الرجل المسنّ من الماء. ثم نُقل الأخير إلى المستشفى للمراقبة.

إن الطرق التي تعمل بها نعمة الله في روحنا قادرة على الابتكار دائمًا. كان الكاهن مندهشًا من الطريقة التي تصوَّر بها المقطع الإنجيلي عبر الأيقونة وانطباعه على روح الشاب. إلى هذا، لقد دُهش أيضًا لاهتمام الله بالتفاصيل. لم تكن اللحظة مناسبة لإنقاذ الرجل المسن وحسب بل أيضًا لكي يختبر الشاب يختبر في الممارسة ما تم نقلُه إلى روحه عبر الاعتراف. بحسب ما نقله والده إلى الكاهن، لقد كان الشاب يشعر بسعادة غامرة. ففي حين كانت حياته مليئة بالخيبات جاءت تجربة النجاح في شيء ما لتحرّره. لقد كان الأمر بمثابة فداء له، إذ اقتبل نعمة الله دعمًا لحياته.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل الحادي عشر ✝

«وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ.». (يو١٩ :٢٥).

عند وصول نكتاريوس إلى مدينة لميا حاملًا أمتعته، كان هناك بعض الأشخاص الذين ينتظرونه بداعي الفضول. وهم أشخاص طيبون من مدينة أثناسيوس دياكوس، أحد أبطال المقاومة ضد الأتراك.

وبما أن أسقف المدينة كان غائبًا للمعالجة بالمياه المعدنيّة الحارّة، فقد حضر ممثله مع مختار المدينة وبعض الكهنة لاستقبال نكتاريوس. فاصطحبوه إلى المطرانية وقدّموا له القهوة والحلويات، وتمّ التعارف. وقد شعر نكتاريوس بالسعادة والاطمئنان منذ أن وقع نظره على المدينة. ثم سأل بعد برهة:

– «أين يمكنني أن أسكن يا حضرة المختار»؟

فأجابه المختار بلطف:

«لا تقلق يا صاحب السيادة، فعندنا بعض الغرف، وبعض البيوت الشاغرة ايضًا لإقامتكم. وسوف يتكفّل أمين سرّ المجلس البلدي بترتيب الأمر».

وبعد ساعة اصطحبه أمين السرّ في عربة خيل ليزور بعض البيوت. وأخيرًا اختار نكتاريوس بيتًا بعيدًا عن وسط المدينة وساحة السوق. وكان صاحب البيت يُدعَى خرالمبوس ساكوبولوس، وهو رجل في الخامسة والاربعين من العمر، موظّف في المحاسبة. وكان يُعرَف بأنه ربُّ عائلة صالح. وعند وصول نكتاريوس أمام البيت ابتسم، ورسم إشارة الصليب ثلاث مرّات، وقرّر بأن تُنقَل أمتعته وكتبه إلى هذا المكان.

وسار كُل شيء على ما يرام. أعطته العائلة الغرفة الكُبرى والأكثر إنارة بفضل نافذتها الشرقية.

وقد أثبت صاحب البيت صحة سمعته: كان مسيحيًا ومؤمنًا بسيطًا، ورب أُسرة يعمل جاهدًا لإعالة امرأته وأولاده. وكان يعمل من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل لدى تجّار بالجملة ومربّي حيوانات. ومع ذلك فقد كان يبدو سعيدًا على الدوام وهو يؤلّف مع زوجته وأولاده مثال الحياة العائلية. كانوا ذوي نفوس طيّبة لا غشَّ فيها.

في غرفة الأولاد عُلِّقَت مجموعة أيقونات في أعلاها أيقونة كبيرة جدًّا تمثّل الثالوث القدوس. وتحتها أيقونات أصغر حجمًا، إحداها للقديس أشيلّوس وأُخرى للقديس ميناس الصانع العجائب، وَلِرَئِيسَي الملائكة: ميخائيل رئيس القوّات السماوية حاملًا رمحه، وجبرائيل المتقدِّم، ملاك المهمات السرّية والثقة المطلقة، وكان السراج يبقى مُضاءً ليل نهار. ورغم ضيق معيشة هذه العائلة واحتياجاتها التي لا تُعَدّ، فإنَّها

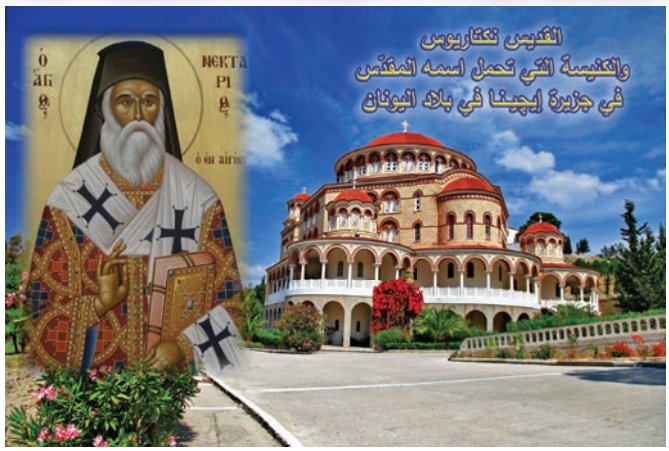

لم تُقَصِّر يومًا في ابتياع زيت السراج. ولم يَكُن نكتاريوس قد عاش ضمن عائلة كهذه منذ رحيله عن ليتي.

وقد سأله ربّ هذه العائلة، صاحب الابتسامة المباركة، هذا المُضيف المتواضع والمُتعَب الذي تحدَّبَ ظهره لكثرة الكتابة والانحناء فوق الأرقام طوال النهار:

– أين ستلقي موعظتك يوم الأحد القادم يا صاحب السيادة ؟

وكان هذا النوع من الأسئلة يشبه قطرة الندى التي تُنعِش وحدة نكتاريوس وَنُسْكَهُ، وتُعطيه الشجاعة والثقة وتفرّحه. فأجاب:

– لقد طلبوا مني في المطرانية أن أذهب إلى غالاكسيدي. فما رأيك يا سيّد خارلمبوس؟.

فأجاب ربّ العائلة بسرور طفولي:

– آه، إنَّ غالاكسيدي مدينة مجيدة ببحّاريها. وقد شهد مرفأها رحيل مراكب كثيرة من جميع الأنواع. لابدّ أنّك ستتحدّث إلى النساء بصورة خاصة لأن الرجال مسافرون. المخازن قليلة جدًا وتكاد المقاهي تُعدّ على الأصابع. إنّها مدينة عمالقة البحر الذين يكسبون عيشهم من الصراع الملتحم معه. لا تنسَ يا صاحب السيادة أن تصلّي من أجلهم بوجهٍ خاص. فهم اليوم قد فقدوا مجدهم السَّابق بسبب التقدّم الصناعي للمراكب والسفن البخارية. فنسيهم الناس وصاروا يجهدون لكسب خبزهم اليومي.

والواقع إن نكتاريوس لم ينسَ في حياته الموعظة التي ألقاها في تلك القرية البعيدة: كانت الكنيسة تغصّ بالنساء والأولاد. وكان الجميع يديرون صوبه وجوهًا جديّة، مستغرقة بالتفكير، وعليها مسحة خفية من الحزن. إنّها وجوه أشخاص اعتادوا أن يختاروا بصمت درب الصعود الصعب، دون أن يفتّشوا عن دروب أُخرى قد تكون أَسْهَلَ. وكانت النساء اللواتي يلبسن السواد كثيرات العدد: إنهن أرامل دون شكّ، وأمهات حزينات خَطَفَ البحر الهائج أجساد أزواجهن وآباء أطفالهن، ليقدمها طعامًا للحيتان.

الأرثوذكسيّة (٧٩)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبكنيسة واحدة جامعة مُقَدَّسة رسولية

منظران للكنيسة: كانت توجد كنيسة لها واجهتان، الواجهة الأمامية كانت عظيمة وفخمة جدًّا وكانت تطل على شارع عريض مُشَجَّر جميل. أمَّا الواجهة الخلفيّة فكانت قبيحة جدًّا وكانت تطلّ على مكان تُلقَى فيه نفايات الصفائح ومخلّفات المباني. كان رعاة الكنيسة يقولون للمؤمنين: «لا تنظروا إلى تلك الطريق، بل انظروا إلى هذه».

أمَّا الكنيسة فقد دعاها الله لتنظُر من الاتجاهين، تنظُر أوّلًا إلى المسيح، الوجه المُلهَم، ومن هذا الاتجاه تأخُذ الحثّ والدفع والقوّة لتنظِّف نفايات صفائح العالم.

قالَ حَدَثٌ وهو في السجن للكاهن: «عشتُ كل حياتي في منزل بجوار الكنيسة مباشرَة، وكان والدي سِكّيرًا يعود إلى المنزل ويضرب أمّي ويضربني أنا وأخوتي ويتركنا بلا طعام وبلا دفء، ولم يزرنا واحد مِن خُدّام الكنيسة الملاصقة لمنزلنا، لِيُبيِّن لنا أنَّه يهتم بنا.»

يتساءل **الكاتب هالفود لوكُك**: «ماذا تظن في طاقم محطَّة إنقاذ السُفن عندما يُوَلّون كل اهتمامهم للمحطَّة ذاتها، ليجعلوا النقوش والمباني والأرضيّات جذّابة، وهي مُحاطة بالحدائق، ومُنسَّقة بانتظامٍ واهتمام، ويلحقون بها موسيقى سارّة لطيفة، ثمَّ يُغلقون الأبواب ويمنعون دخول الذين يستغيثون بسبب تكسُّر السُفن على الصخور وهدير الأمواج العالية، ويتسبَّبون في هلاك الناس والسُفن بسبب تحطُّمها على الصخور؟ سوفَ تقول لي: هذا غير معقول. ولكن أليسَ هذا ما يحدث في الكنيسة؟ الكنيسة من الداخل مُزدانة بالزخارف والمواد الجميلة، بينما حال الذين في الخارج والمحتاجين الى خلاص المسيح يُرثَى لها، فيكونون مُهمَلين أو منسيِّين أو ثانويِّين في اهتمامات الكنيسة بالنسبة للأمور الأُخرى؟ الكنيسة ليست جماعة واقفة على شُرفة مَصِيفٍ (مكان الاقامة بالصيف) بل الكنيسة طاقم انقاذ».

يرى النبي حزقيال رؤيا عن نهر الحياة، إنَّه نهرٌ يجري من مذبح الهيكل إلى العالم، وكلّما جري النهر، ازدادَ عُمقه. وكنتيجة لذلك فإنَّ مياه البحر الميت الرّاكدة تتجدَّد ويحتشد السمك المُندفع. حيثما يُوجد النهر توجَد حياة وينبت الشجر وتنمو المزروعات. ماذا يكون هذا إلَّا صورة للتجديد والانعاش والحياة التي يُريد المسيح أن تَصِل إلى العالم عن طريق كنيسته، أي من خلال شعبه، أعضاء جسده، جماعة الإنقاذ المنتمية إليه (راجع حز ٤٧:١ ، و ٢:٦-١٢). يحدث كثيرًا أنَّ أعضاءَ في جسد المسيح يقودون حملات جَمع أموال لحالات المجاعات والأوبئة في العالَم، وكثيرٌ من المسيحيِّين يفتحون قلوبهم ويتبرّعون بسخاء بملايين الدولارات لإطعام الجائعين والمنكوبين باسم المسيح. هذه إنَّما هي أمثلة للتجديد والإنعاش الذي يمكنه أن يجري في العالم من خلال مذبَح الله.

المراؤون في الكنيسة: من الأعذار الشائعة التي تُسبِّب عدم الارتباط بالكنيسة هو كونها ممتلئة بالمرائين. حسنًا! يمكننا دائمًا أن نقول لهؤلاء الناس إنَّ الكنيسة حقيقة ليست فقط هي هذا الحشد من المرائين، لأنه يوجَد أيضًا مكان للآخرَين العابدين الحقيقيِّين. ولكن إن تَرَكنا كل دعابة ومزاح وهُزءٍ خارجًا، فإنَّنا سَنَعلَم أيضًا أن الكنيسة لم تَكُن يومًا متحفًا يُعرض فيه الأشخاص الكاملون. المقصود من الكنيسة أن تكون مستشفَى لشفاء المرضَى روحيًّا، الذين يجدون في يسوع طبيبًا روحيًّا: «لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خُطاةً إلى التوبة» (مت ٩:١٣). الشخص الذي يقول عن الآخرين إنَّهم مُراؤون ويرفض أن يرتبط بآخرين أقلّ نقاوة منه هو شخصٌ مُذنبٌ بخطيئة الكبرياء، ولا يُريد أن تكون الكنيسة إلَّا جماعة من (الأبرار!) أمثاله. ربَّما يكون هذا الشخص أكثَر مُراءاةً بادِّعائه أنَّه أفضَل من الآخرين. على العموم الله وحده هو الذي يعلم من هو المرائي ومن الذي ليس هكذا. علينا ألَّا نتجرَّأ ونأخذ دور الله بأن نَصِف أي إنسان وأن ندينه. الحقيقة هي أنّنا نعيش في عالَم خاطىء، والخطأة والمراؤون موجودون في كل مكان، ومع ذلك فنحنُ نستمر في الحياة والعَمَل في هذا العالم الناقص. إنَّنا لا نعتزل عنه ولا ننسحب منه. مَن منَّا سمع يومًا عن شخص حُبِسَ في بناء يحترق ثمَّ رفضَ أن يقفز في شبكة رجال الإطفاء لأنَّه ظَنَّ أنَّ الذين يمسكون الشبكة هم أُناس مُراؤون؟

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسةَ عشرةَ

«... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

٢١– ...هو قوّة الشهداء ونورهم: هل تُريد أن تعرف ان الشهداء يؤدون شهادتهم بقوّة الروح القُدُس؟ قال المخلِّص لتلاميذه: «وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ». (لو ١٢: ١١–١٢). في الواقع يستحيل على الإنسان أن يشهد للمسيح إن لم يشهد بالروح القُدُس. لأنه اذا كان «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ:«يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.»((١كو١٢: ٣). فمن يبذل حياته لأجل المسيح إن لم يكُن بالروح القُدُس؟

٢٢– الروح يساعد الجميع بحسب رغبتهم:

الروح القُدُس عظيم وكلّي القُدرة، وعجيب في هباته. تصوَّروا كم عددنا الآن هنا، وكم عدد أنفسنا؛ إن يعمل في كلّ واحد منّا بحسب ما يلائمه. وبما انه في وسطنا، فهو يرى تصرّف كُل واحد وأفكاره وضميره، وما نقوله وما نفكّر فيه. في الحقيقة ان ما اقول لشيءٌ عظيم، ولكنه مع ذلك ليس بشيء. أرجوك ان تنظر الى العقل الذي استضاء بنوره. أُنظر إلى عدد المسيحيين الذين يؤلفون هذه الجماعة، وعددهم في أبرشيّة فلسطين بأسرها. وانتقل بذهنك من هذه الأبرشية الى الامبراطورية الرومانية كلها، واعتبر من هناك العالم بأسره: أمّة الفُرس وشعوب الهند ، الغوط والسرماط، الغاليون والاسبانيون، المغاربة والليبيون، الأحباش وجميع الذين لا نعرف أسماءهم. لأنها عديدة هي الشعوب التي نجهل حتى اسماءها. اعتبر الأساقفة والكهنة والشمامسة، والرهبان والعذارى والعلمانيين من كل شعب. وانظر الى رائدهم الاعظم وموزِّع الهبات عليهم، كيف انه في العالم اجمع يهب للواحد الحشمة وللآخر البتولية المؤبدة، لهذا الرحمة ولذاك حُب الفَقر، ولسواه موهبة إخراج الشياطين. وكما أن النور بفيضٍ من أشعته ينير كُل شيء، كذلك الروح القُدُس ينير مَن لهم عيُون. وإذا أحد أعمى لا يستحق النعمة، فلا يلُم الرّوح القُدُس بل عدم ايمانه.

٢٣– الروح القُدس وحده يفحص عن اعماق الله:

لقد رأيت قدرته في العالم أجمع، فلا تظلّ متمسكًا بالأرض، بل اصعد الى العُلَى. إرتفع بالروح حتى السماء الأولى، وانظر إلى ربوات الملائكة التي لا عدّ لها. إرتفع إلى أعلَى وانظر إلى رؤساء الملائكة والأرواح والقوّات والعروش والسلاطين ... فالمعزِّي هو الذي أقامه الله رئيسًا عليهم جميعًا، وهو سيِّدهم ومقدِّسُهم. إنَّ **إيليا وأليشاع واشعياء** في حاجة إليه من بني البشَر، كما أنَّ ميخائيل وجبرائيل في حاجة اليه من بين الملائكة. لا شيء من الأشياء المخلوقة يعادله في الكرامة؛ فطغمات الملائكة وجيوشهم مجتمعين معًا لا يستطيعون مساواة الروح القُدُس. ان قدرة المعزّي الكليّة الصلاح تظلّلهم جميعًا. هُم مُرسَلون للخدمة، اما هو فيفحص حتى أعماق الله، كما يقول الرسول: «لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ.»؛ «لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟»؟ «هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ.» (١كو٢: ١٠–١١).

٢٤– التمسّك بالوحي: لقد كرزَ بالمسيح الأنبياء، وَعَمِلَ في الرسل؛ وحتى اليوم هو الذي يختم الأنفس في العماد. الآب يُعطي الابن، والابن يُشرك الروح القُدُس. ولستُ أنا الذي يقول ذلك، إنما المسيح نفسه: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي» (متى١١: ٢٧). كما أنه يقول عن الروح القُدُس: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.» (يو١٦: ١٣– ١٤). الآب يمنح كُل شيء بالابن مع الروح القُدُس. هبات الآب لا تختلف عن هبات الابن والروح القُدُس. لأنّ الخلاص واحد والقدرة واحدة، والإيمان واحد، وإله واحد الآب، وربّ واحد الابن الوحيد، وروح قُدس واحد المعزّي. يكفي أن نعرف ذلك، فلا نبحث عن الطبيعة أو الجوهر. لانه لو كان مكتوبًا لَقُلناه. أما ما هو غير مكتوب فلا نجرؤ على قوله. يكفينا أن نعرف لخلاصنا أنه يوجد آب وابن وروح قُدس.

٢٥– مثَل ألداد وميداد: لقد نزل الروح على السبعين شيخًا في أيام موسى (عدد ١١: ٢٥). (ولكن أرجو يا أحبائي، ألّا تولِّد إطالتنا في الكلام الضجَر في نفوسكم. فليمنح الذي نتحدّث عنه كُلًّا منا بالقوة، لي أنا الذي أتكلم، ولكم أنتم الذين تسمعون). لقد نزل هذا الروح، كما كنتُ أقول، على السبعين شيخًا أيام موسى. – أقول لك هذه الأشياء لكي أُرسِّخ في ذهنك الآن أنه يعرف كل شيء ويعمل كما يشاء – لقد اختبر السبعون شيخًا : «فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي سَحَابَةٍ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَى السَّبْعِينَ رَجُلاً الشُّيُوخَ.» (عدد ١١: ٢٥). لم يُقسِّم الروح، ولكن النعمة هي التي قسِّمت بحسب الذين يتلقونها وبحسب أهليتهم. وهؤلاء الثمانية والستون الذين كانوا حاضرين تنبأوا، ولم يكن إلداد وميداد حاضرين. ولكي أُظهر لك أنه ليس موسى الذي يُعطي، إنما هو الروح الذي كان يعمل، فإنّ ألداد وميداد اللذين دُعيا ولم يَحضُرا، قد تنبّآ أيضًا.